المسيح فيكم

مدخل للعهد الجديد والحياة المسيحية

كنت هودچ

Kent Hodge

2008م

حق الطبع: كنت هودچ

ترجمة

ق. عاطف داود

مراجعة

ق. فيلبس عوض الله

الأستاذ: ديفيد رزق الله

الأستاذ: كيرلس نبيه كيرلس

الفصل الثالث

الثيولوچيا

- الخليقة والسقوط
- سيادة الله
- الثالوث
- شخص المسيح
- الروح القدس
- الملائكة
- الشيطان والأرواح الشريرة
- الإنسان

الخليقة:

يوجد إله واحد مطلق السيادة. يملك وحده القدرة الكلية في الكون كله. لا يمكن أن يقاومه أحد، وليس في صراع مع أي شيء. ولا يمكن أن يتواجد مخلوق ما في السماء، أو علي الأرض، أو تحت الأرض للحظة بدون إذن إلهي منه. الله هو الخالق صانع كل الأشياء، أي جميع المخلوقات، وكل السلاطين، والرياسيات. كما لا يمكن لأي كائن أن يقوم بأدنى عمل مضاد لمشيئة الله. كل الخلائق خُلقت بالمسيح إذ يقول الكتاب، "الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ .. وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ .."، (عب1: 2-3). خلق الله السماوات، والأرض، وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع. وهنا نحصل علي الأسبوع المكون من سبعة أيام.

وقبلما صنع الله الشمس قال، ".. لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ"، (تك1: 3)، مما يشير إلي عدم جدوى عبادة الشمس، أو عبادة أي مخلوق آخر. وفي حين لا يزودنا سفر التكوين بأية تفاصيل علمية، إلا أنه يمدنا بعبارات ذات حقيقة تاريخية. والنص القائل، ".. يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ، (2بط 3: 8)، لا ينطبق علي أيام قصة الخليقة في سفر التكوين. لأن الرسول بطرس يتكلم عن صبر الله، وطول أناته في عقاب الأشرار، دون أن يقدم أية إشارات عن الخليقة في النص.

يمثل (تك1) سجل الخليقة بحسب التسلسل الزمني، أما (تك2) يعبِّر عن سجل مؤكِّد لنفس الأحداث التي وردت في البيان الأول، دون مراعاة للترتيب الزمني، ودون تعارض معه أيضًا. وهذه الطريقة في الكتابة تمثل أحد الأشكال الأدبية في الكتابة العبرية، حيث يتم تقديم موضوع في قسم ما، ثم تقديمه بشكل موسَّع في القسم التالي له. وتتبع معظم الأبيات الشعرية في سفر الأمثال هذا الأسلوب، كما تسير علي نهجه أيضًا الأسفار التاريخية في العهد القديم.

عاش كل من آدم، وحواء في انسجام مع الحيوانات في جنة عدن، ولم يأكل أي منهما لحمًا. أيضًا، لم تُخلَق الأسود لتأكل اللحوم، مثل حيوانات كثيرة اليوم لها أسنان كبيرة، لكنها ليست من آكلات اللحوم. أُعطِيت اللحوم للإنسان ليأكلها بعد طوفان نوح، ومن ثم لا يمكن تبرير الأسلوب النباتي في التغذية علي أسس كتابية. ربما كان لهذا الأمر علاقة مع الظروف المتغيرة التي قللت من التغذية أو مدى تنوع الحياة النباتية. كما أن مدي العمر البشري تناقص بوضوح من خلال زيادة مفترضة لعدد من الأمراض. ويبدو واضحًا أن السماء لم تمطر قبل الطوفان إذ يقول الكتاب، ".. لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الأَرْضِ .. ثُمَّ كَانَ ضَبَابٌ يَطْلَعُ مِنَ الأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الأَرْضِ"، (تك2: 5-6). الأمر الذي يجعل من الأرض صوبة زراعية عظيمة، بسبب عدم وجود جليد قطبي مع إشعاعات محدودة للأشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس، ووجود غلاف جوى أكثر كثافة. وعمومًا توجد اختلافات ممكنة أخرى كثيرة جدًا حول ظروف ما قبل الطوفان، منها ما يتضمن نقص عدد المحيطات، والسلاسل الجبلية، والانقسام المحتمل للقارات بعد الطوفان. لا نستطيع القيام بأية استنتاجات هنا، لأن كل نقطة في

حد ذاتها تحتاج المزيد من البحث في اللغات الكتابية القديمة، وأمور أخرى. لقد عَلِم الله أن السقوط سيحدث، وصنع تدبيرًا من أجل ذلك في خليقته الأصلية.

السقوط:

واضح من (تك3) أن الخطية دخلت إلي العالم من خلال آدم وحواء. ولا يوجد شيئًا ما مضر أو سام في ثمر الشجرة المحرمة، لأن كل ما صنعه الرب كان حسناً جدًا، (تك2: 17؛ 1: 31). ولقد سُمِّيت شجرة معرفة الخير والشر، لأن اختيار كل من آدم وحواء أن يعصيا الله ويأكلا من ثمر هذه الشجرة، يعني اختيارهما لأن يكونا هما الحَكَم في الخير والشر. لقد قدَّم لهما الشيطان آنذاك فكر ما بعد الحداثة[1] المنتشر حاليًا. لقد دُعيت حواء لأن تفكر في الله بطريقة غير موضوعية. قالت الحية لحواء بأنها ستصير مثل الله، عارفةً كل من الخير، والشر. وأن كل من آدم وحواء سيصيران حكيمين في عيني نفسيهما، قادرين علي أن يقررا بنفسهما ما هو الصواب، وما هو الخطأ. وهكذا يصير الإنسان إله نفسه، (تك11: 4؛ إش14: 13؛ دا3: 5؛ 4: 30). بنفس التجربة جُرِّب الرب يسوع، (مت4: 3). كان يمكنه أن يقرر طريقه بنفسه، بدلاً من طاعة الآب إلا أن الرب يسوع اختار طريق الطاعة، وليس إرادته الذاتية.

أصبحت الذات مركز الطبيعة البشرية نتيجة خطية آدم. جلبت هذه الخطية الانفصال عن الله، والموت الجسدي، والمرض، واللعنة الكاملة التي نراها في الأرض اليوم. الحروب سببها خطية الإنسان، وليس الله. لقد نطق الله باللعنة وليس الشيطان، واستخدم هذه اللعنة كعامل مساعد يستخدمه ليأتي بشعبه للمسيح، (رو8: 20). هذا ويدل أن الحفريات ليست بقايا الحيوانات الميتة التي كانت موجودة قبل سقوط الإنسان. لأن الله لم يستخدم الموت، والقتل ليخلق الحياة من خلال دورة طويلة من النشوء، أو التطور، أومن الكائنات التي تسعي من أجل البقاء، حيث يكون البقاء للأصلح. هذا الأمر لا يتسق وطبيعة الله، لأن الله صالح وخليقته حسنة جدًا.

والفكرة القائلة بأن الله استخدم التطور في عملية الخلق، المعروفة باسم النشوء الإلهي لا تناسب إنجيل يسوع المسيح. لأن الموت إن لم يكن قد دخل بسبب خطية آدم، فلا حاجةً للمسيح لكي يأتي ويخلصنا من الخطية بالموت علي الصليب. لقد مات المسيح من أجل الخطية لكي يضع بالموت نهاية للموت. هو يملك مفاتيح الهاوية والموت، لأنه هو القيامة من الموت. ومن الجلي أن خطية آدم أدت إلي الموت الجسدي، وليس فقط الموت الروحي:

1. تكلم الرسول بولس عن الموت الجسدي الموروث من آدم عندما تكلم عن قيامة الجسد في (1كو 15).
2. أدت خطية آدم إلي اللعنة التي تضمنت الموت، والمرض. الحية، آكلة التراب، الأشواك، والحسك، التعب، والعرق، آلام المخاض المتزايدة، وعمر الإنسان المتناقص في السنوات العتيدة، جميعها مظاهر للموت الجسدي، إذ أن السقوط، واللعنة أثرا علي كل الخليقة، (تك3: 14–19).
3. ذبح الله حيوانًا ليكسى بجلده عرى آدم، وحواء بعد أن أخطئا. كان الموت الجسدي للحيوان نتيجة خطية آدم، كما كان ظلاً لموت المسيح الجسدي من أجل خطيتنا. استطاع آدم أن يري في موت الحيوانات عاقبة خطيته. "اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ"، (حز18: 20).
4. مات المسيح جسديًا من أجل خطيتنا، "الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ ..."، (1بط2: 24).
5. الموت الجسدي عدو لله، ولم يستخدمه الله ليخلق العالم ببطء من خلال فكرة النشوء، (1كو15: 26).

يقول البعض أن أوراق الشجر من المؤكَّد أنها كانت تموت قبل السقوط، لأنه كانت توجد فصول أربعة للسنة، (تك1: 14). بالطبع كانت هناك الشمس، والقمر، والنجوم، إلا أن الأوقات، أي الفصول المذكورة هنا هي فقط لتحديد الليل، والنهار، والسنين. أما الفصول الأخرى التي نعرفها اليوم، والتي تتضمن البرد، والحر، والصيف، والشتاء، لم يذكرها الكتاب إلا بعد

---

[1] وهو فكر فلسفي معروف باسم ما بعد الحداثة، *Post-Modernism*، المترجم

الطوفان، (تك8: 22). ونحن لا نعلم ما الذي حدث في تلك الأيام الأولي السابقة للطوفان، أو ما هي التغيرات البيولوجية، أو النباتية التي تلت الطوفان، كما أننا لا يمكننا حتي الافتراض.

وهكذا فإن الله في قدرته خَلَق الإنسان وبالرغم من أنه لم ينشئ الخطية، ولم يجرِّب آدم، إلا أنه سمح بالتجربة، ليمنح الإنسان إرادة حرة. كان لآدم إرادة حرة ومن المحال القول بأن الله سيطر علي قراره لكي يخطئ. لقد كانت خطية آدم اختياره الحر. اختار الله بأن يسمح لآدم بأن يخطئ حتي يمكنه افتداء شعبه المختار ليكون هذا الشعب كنيسته. وبهذه الطريقة يكون الخلاص من خلال نعمة الله المجانية. لقد كانت هذه خطة الله قبل الخليقة، حيث أن المسيح كمصلوب معروف قبل تأسيس العالم، (رؤ13: 8).

ويتساءل البعض لماذا يسمح الله بالحروب، والألم؟ لأنهما نتيجة لخطية الإنسان، وهذا الحال لم يتغير. لكن لماذا لا يغير الله هذا بعد ذلك؟ لقد غيَّر ذلك، بإرسال المسيح الذي أقامه من الأموات، لكن الإنسان لا يقبل هذا. إن هذا الميل لإلقاء اللوم علي الله هو عين ما فعله آدم بعد أن سقط بقوله، ".. الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ"، (تك3: 12). وهكذا يصف الكتاب المقدس بدقة الطبيعة البشرية.

سيادة الله:

استمرت سيادة الله بعد السقوط. قال البعض أن الله أعطي الأرض للإنسان عندما أمره بأن يتسلط عليها قبل السقوط، وعندما أخطأ آدم سلَّم الأرض للشيطان. إلا أن الكتاب المقدس لا يؤكِّد هذا القول. يخضع سلطان آدم لسيادة الله، طالما أنه يطيع وصايا الله. تنادي المزامير بهذا بالقول، "لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ، وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا"، (مز24: 1). الله لا يزال يمارس سلطانه الكامل علي خليقته.

زعم نبوخذنصَّر أنه بني بابل بقدرة يديه، ومن أجل هذا السبب أزال الله نعمته منه، ليريه أنه لا يستطيع أن يفعل شيء من نفسه. لقد فقد عقله فصار يأكل العشب كالبهائم لمدة سبع سنوات، (دا4: 34-37). وفي الوقت المحدد من الله، عاد إلي نبوخذنصَّر عقله. كانت أول فكرة له هي، ".. أَنَّ الْعَلِيَّ مُتَسَلِّطٌ فِي مَمْلَكَةِ النَّاسِ وَأَنَّهُ يُعْطِيهَا مَنْ يَشَاءُ"، (دا4: 32). أيضًا ينادي البعض بأن أرواح إقليمية تحكم مناطق معينة في الأرض. الله هو الذي يسود علي الأرض، وليس الشيطان أو أي شخص آخر. وأي شخص يدعي بأن هناك من يسود غير الله سيأكل العشب كالبهائم مع نبوخذنصَّر. قال الله من جهة فرعون، ".. إِنِّي لِهذَا بِعَيْنِهِ أَقَمْتُكَ .."، (رو9: 17). لقد اعتقد فرعون أن حكمته، وآلهته هي التي تمنحه القدرة، لكن سلطان الله هو الذي أقام فرعون لكي يظهر من خلاله قوته لمختاريه من شعب إسرائيل. وتخبرنا الرسالة إلي أهل كولوسي بأن المسيح يسوع تخضع له السيادات، والسلاطين، (كو1: 16-23). وهذا يشمل كل من القوى الروحية، والحكومات البشرية. وكل منها في موضع سلطانه بإذنه، ومن أجل قصده.

هل يعني هذا أن الله مسئول عن الشر الذي يقومون به. لا، لأنهم يمارسون الشر بسبب فساد طبيعتهم. لكن الله يحوِّل كل الأمور معًا حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، (أف1: 5). حتي أنه يمكن أن يقسي قلب خاطئ إن كان ذلك يناسب قصده، كما فعل مع فرعون، (رو8: 19). وقد يعترض البعض بالقول بأن الشيطان يسود الأمم لأنه دُعي باسم رئيس سلطان الهواء، الذي يعمل الآن في أبناء المعصية، كما ورد في (أف2: 2). إن الشيطان يفعل ذلك بسماح الله، وتحت سيادته. وسيادة الله علي الشيطان جلية من سفر أيوب. فعندما أعطي الله الشيطان الإذن لأن يمتحن أيوب، سمح بذلك من خلال التقييد الواضح له. لأن الشيطان لا يمكن أن يقاوم البشر إلا في حدود تسمح بها سيادة الله. (أي2: 1-6).

نرى أيضًا في العهد القديم أن الله ذات مرة استدعي روح كذب ليأخذ ملك شرير بحماقته، (1مل22: 22). يخبرنا نص (1كو10: 13) بأنه لا توجد تجربة لا يعلمها الله، بل إنه يهب نعمة كافية للهروب منها، إذ يقول الكتاب، ".. اللهَ أَمِينٌ، الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ ..". قال الرب يسوع، أنه لا يمكن أن تسقط شعرة

واحدة من رؤوسنا بدون علم الآب، (مت10: 30). الله يعلم كل حدث مفرد، مهما كان صغره، الأمر الذي يعني وجوده في كل مكان في نفس الوقت.

الشيطان لا يسود:

وبسبب أن الشيطان جرَّب الرب يسوع، يعترض البعض أكثر بالقول أن الشيطان يحكم كل ممالك العالم، ويمكنه أن يعطيها له، ولذا فمن المؤكَّد أن هذا السلطان حقيقي، وإلا ما كانت التجربة حقيقية. من الحقيقي أن الشيطان لديه قوة زائلة علي العصاة، أولئك الذين يتبعون هيئة هذا العالم في شهواتهم، لكن كل هذا تحت سلطان سيادة الله. لم ينخدع الرب يسوع بهذه التجربة لأنه أدرك أن:

- الشيطان كذَّاب.
- لا يمكن لأحد أن يكون له سلطان إن لم يكن قد أعطي له من الآب.

ما قاله الشيطان للرب يسوع لم يكن حقيقيًا. لقد قال الرب يسوع لبيلاطس البنطي، ".. لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ، لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ"، (يو19: 11). إن الكتاب المقدس واضح أن الشيطان لا يملك شيء لم يمنحه له الله، وإن منحه شيء يمكن أن ينزعه منه دون أدني اعتراض. حتي أن الشيطان لا يسود البشر الساقطين. إن الإنسان الساقط يحكمه ناموس الخطية والموت. إن هذا الإنسان محكوم، ومنساق بواسطة طبيعته الخاطئة، تحت سيادة الله وسلطانه.

الإنسان لا يسود:

اعتقاد آخر في إطار الفكر عن السيادة هو أن المسيحيين آلهة ثانوية لديهم قدرة خلاقة. كان موسي إلهًا لفرعون بمعني أنه كان المتحدث بالنيابة عن الله؛ إلا أن موسي لم يكن له الحق في أن يختار كلماته. لقد تكلم بحسب توجيه الله له. حتي الرب يسوع نفسه اتَّبَع، وأطاع الله أبيه، (يو5: 19). واليوم يقود الرب كنيسته بواسطة الروح القدس. قال الرب يسوع، ".. دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ"، (مت28: 18). فلو أن الرب لديه كل سلطان في السماء وعلي الأرض، فإن هذا يعني أنه ليس للشيطان أو لنا أي سلطان. والسلطان الوحيد الذي نمارسه كمؤمنين هو من خلال مشيئة الله.

والبعض ينادي بأننا يمكننا من خلال التصوُّر، visualization، أو اعتراف الإيمان أن نقوم بالخلق، لكن بركات الله هي بالنعمة، وليس بالأعمال. علي سبيل المثال، لم ينال إبراهيم أرض الموعد لأنه تصورها. لقد أتي به الله ليقف في قلب الأرض ليريه ما قد وهبه له بالفعل. لقد أمر الله إبراهيم أن ينظر شرقًا، وغربًا، وشمالاً، وجنوبًا، وبعدها قال له كل ما تراه لك أعطيته، (تك15: 18). لقد قبل إبراهيم هذه الأرض كهبة، بواسطة النعمة، هبة دبرها الله من قبل تأسيس الأرض. نحن لا نقر بأن أفكارنا الذاتية تخلق ما نختاره. لكن نعترف بما فعله الله علي الفور فينا. قال الرسول بولس، ".. آمَنْتُ لِذلِكَ تَكَلَّمْتُ .."، (2كو4: 13). نحن نتكلم بحسب عطية الإيمان من الله، الذي قبلناه بالنعمة. إن الله يمنحنا الإيمان أولاً فنخبر بما يفعله. ونفس الشيء عندما قال الله ليشوع، "كُلَّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ .."، وذلك لأن الله قد أتي بيشوع للموضع الذي سبق وأن وعد بأن يعطيه لإبراهيم، ويعقوب، (يش1: 1-9). إن المهم ليس قدم يشوع، بل ما سبق الله وأعطاه بالنعمة. لقد تم تحديد الحدود الخاصة بالأرض. فإن تخطى يشوع هذه الحدود، ما كانت لقدميه أن تعينه علي الوقوف فيها!

إن لم يصنع الله الأمر، فإن الكلام، أو التصوُّر لن يحقق أي شيء له قيمة أبدية. هذه الفكرة هي نوع من الإيمان بالقوى الخفية، وإمكانية إخضاعها للسيطرة البشرية. هذا هو الإغراء الذي وقعت فيه حواء عندما أخبرها العدو بالقول، ".. تَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ"، (تك3: 5). الإيمان بالقوى الخفية هو محاولة استخدام القوى الإلهية بعيدًا عن نعمة الله، من خلال التصور، والتشجيع الذاتي في مجال التخطيط والعمل نحو هذه الخطط، لكن هذا ليس له علاقة بقوة الله. استخدام التصوُّر للتأثير في المجال الروحي هو بوذية، وليس مسيحية. الإنسان والشيطان يمكنهما أن يخططا، لكن الله صاحب السلطان، (أم16: 9؛ 19: 21). الإنجيل هو إنجيل النعمة فيما عمله المسيح من خلال استحقاقاته. هذا ليس للتقليل من شأن الإيمان الذي، ".. يَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ"، (رو4: 17). إن عدم الإيمان هو استبعادنا لسيادة الله لنضع الإنسان في المقدمة. الله يري الكل

ويعلم الكل، حتي أفكار قلوبنا. لا يخفى علي الله شيء، (مز139). ولا يحتاج الله لمشورة لأنه كلي المعرفة وكلي الحكمة. إن الله كلي القدرة، كلي العلم، كلي الوجود. هذا التعليم يصحح التعاليم المختصة بالشيطان، والإرادة البشرية. إنه أول درس من دروس الإيمان. ولأن الله كلي القدرة، من المحال وجود قوة أخرى مطلقة غيره.

"عِنْدَ الشَّيْبِ حِكْمَةٌ، وَطُولُ الأَيَّامِ فَهْمٌ. عِنْدَهُ الْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ. لَهُ الْمَشُورَةُ وَالْفِطْنَةُ. هُوَذَا يَهْدِمُ فَلاَ يُبْنَى. يُغْلِقُ عَلَى إِنْسَانٍ فَلاَ يُفْتَحُ"، (أي12: 14).

"قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ كُلَّ مَا يَعْمَلُهُ اللهُ أَنَّهُ يَكُونُ إِلَى الأَبَدِ. لاَ شَيْءَ يُزَادُ عَلَيْهِ، وَلاَ شَيْءَ يُنْقَصُ مِنْهُ، وَأَنَّ اللهَ عَمِلَهُ حَتَّى يَخَافُوا أَمَامَهُ"، (جا3: 14).

عندما أعطي الرب يسوع للرسول بطرس مفاتيح الملكوت، كان يتكلم عن رسالة الإنجيل، (مت16: 19). لم يكن يتحدث عن سلطان شخصي للرسول بطرس. لقد كان لدي الفريسيين قبلاً المفاتيح، لكنهم حاولوا غلق الملكوت، بمعني أنهم غيروا رسالة الله بأعمال وتقاليد الناس، وأخفوا الحق بعيدًا عن الناس، (لو11: 52). وبعد ذلك حاولوا أن يشقوا طريقهم بقوة إلي الملكوت بدون توبة، (مت3: 7-9؛ مت11: 12). عندما قال الرب يسوع عن الرسل أن كل ما يحلونه علي الأرض يكون محلولاً في السماء، كان يشير إلي ثمار الإنجيل فيما يتعلق بغفران الخطايا، (مت16: 20). لم يتعلق الأمر بسلطانهم الشخصي، بل بالرب العامل فيهم من خلال نعمته أي نعمة الإيمان بالإنجيل. عندما يتحرر الناس علي الأرض بالميلاد الجديد من الواضح أن أسمائهم تُكْتب في السماء. كان الرب يتكلم عن عمل المسيح في العهد الجديد.

الثالوث:

الله موجود في ثالوث. الثالوث أحد الأسرار الغامضة. لا يشرح لنا الكتاب المقدس من أين أتي الله، لكنه يعلن أنه كان، وكائن، وسيأتي ليكون إلي الأبد، (رؤ22: 13). الثالوث لغز غامض أمام العقل البشري. الثالوث لا يمكن فهمه عقليًا. نحن نؤمن به لأنه معلن في كلمة الله. إن الثالوث سرًا، Mystery، أيضًا. إن القول، ".. نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا.." صيغة الجمع هنا ليست للتفخيم. كما يستخدمها الملوك، كما أن الملوك العبرانيون لم يستخدموها. كما أن العبارة لا تشير إلي الله والملائكة. لأن الملائكة لم تنخرط في عمل خليقة الله، (تك1: 26). إن الإنسان لم يُخلَق علي صورة الملائكة. إن صيغة الجميع تشير إلي كل من الآب، والابن، والروح القدس.

يخبرنا العهد الجديد أن الله خلق كل شيء من خلال المسيح، وفي نفس الوقت يرينا سفر التكوين أن الروح القدس كان حاضرًا عند الخلق، (تك1: 2). وفي مناسبات عديدة كمعمودية الرب يسوع، وحديث الرب يسوع الوداعى في (يو14-يو17)، نجد كل من الآب، والابن، والروح القدس محدد الهوية بشكل متميز. الثالوث يعني الله الواحد، الجامع في جوهره الأقانيم الثلاثة. الثالوث ليس إيمانًا بتعدد الآلهة. لأن الثلاثة أقانيم هم في الجوهر الواحد. تعترف كل قوانين الإيمان بجوهر واحد. تتحدث قوانين الإيمان عن تسلسل الأقانيم في الثالوث. قال الرب يسوع، ".. أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي"، (يو14: 28).

الترتيب الهرمي في الثالوث:

هو تسلسل هرمي طوعي، لأن كل من الآب، والابن، والروح القدس هم جميعًا الله علي نحو متساوٍ. إن خضوع الروح للمسيح الابن يمكننا من أن نمتحن الأرواح، لأن أي روح لا يضع المسيح في المقدمة لا يكون روح الله، (1يو4: 2). الثالوث بترتيب الأقانيم الهرمي فيه يخدم كل ما هو لصالح المفديين. بالمثل خضوع الابن للآب يشرح لنا معني القلب الأمين. قال الرب يسوع، ".. أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي"، (يو14: 28). دُعي الرب يسوع باسم الشاهد الأمين، (رؤ3: 14). كما تفيد كلمة "بَدَاءَةُ" في هذا العدد معنى الرأس. لم يكن لديه أية خطط شخصية منفردة. كما ترينا صلاة الرب يسوع ".. لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ"، في (مت26: 39)، الشركة الموجودة في الثالوث، إذ أن العلاقة بين الأقانيم ليست علاقة سيطرة. الله محبة، والمحبة لا يمكن أن تتواجد بمفردها، (1يو4: 8). من الضروري للمحبة أن تتواجد في علاقة، وشركة. المحبة لابد أن تعطي. كما أننا بالضبط لا يمكننا أن نحب بمفردنا، لكننا نحبه في إطار الشركة مع الكنيسة، وهكذا فإن الله موجود علي الدوام

في شركة. من الضروري أن يتواجد الله في ثالوث، أي في شركة. وخليقة الله هي من أجل نفس الغرض، هي من أجل أن يشارك الله حياته مع الآخرين. لقد خلق الله لأن المحبة لابد أن تشارك. وأراد أن يشارك شعبه بالشركة التي يتمتع بها في أقانيم إلوهيته. إن كل من الخليقة والفداء هما لمدح مجد الله، ولدعوتنا للدخول في شركته الأبدية، (أف1: 6؛ 1يو1: 3).

يسوع المسيح:

دُعي الرب يسوع كلمة الله، وابن الله. والاسم يسوع الذي يعني بالعبرية يشوع هو الاسم الذي تسمي به من الملاك قبل أن يُولد بالجسد من العذراء مريم. إلا أنه موجود أزلاً كابن. ولم يكن هناك قط وقت لم يكن فيه الابن ابنًا. الله الابن كائن علي الدوام إلهًا. صاغ قانون الإيمان النيقاوي هذه الفكرة بالقول، "مولود غير مخلوق". لا تعني الكلمة "مولود" أنه لم يكن موجودًا في زمن ما في الماضي، أو أزلاً. إنها تعني إنه خارج من الآب في علاقة هرمية مع الآب. وقانون الإيمان الأثناسي أفضل في شرح هذه النقطة حيث يؤكِّد أن المسيح ابن سرمدي أبدي، مع الآب أزلاً، وواحد معه في الجوهر. في الكتاب المقدس تشير كلمة مولود إلي التتويج، وفي حالة المسيح الآن كإنسان تُوِّج من أجلنا بعد القيامة. والمعني هو أن نستفيد من قوته، (مز2: 7، مزمور تتويج).

يملك الرب يسوع المسيح كل صفات الآب. ومن بين ألقاب المسيح التي يسردها (إش9: 6) نجد أنه أبًا أبديًا وإلهًا قديرًا. وعدم استخدام بعض قوته في التجسد ليس بسبب ضعفه. إن عدم الاستخدام كان طوعيًا. كما أن عدم معرفته باليوم ولا الساعة هو عدم استخدام طوعي وليس نقصًا في المعرفة الكلية، (مر13: 32). إن المسيح حدَّ طوعًا من استخدام قواه ليتمم مشيئة الآب. اختار المسيح باتضاع أن يختبر كل الأمور التي نمر بها، ليكون رئيس كهنتنا الكامل، (عب2: 16-17)، وكلماته القائلة، ".. أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ .." في (مت26: 53)، مع الطريقة التي سقط فيها الجنود الذين أتوا للقبض عليه توضح لنا بكل جلاء أنه يملك كل القدرة في تجسده، وأنه من الممكن له أن يستخدمها، إلا أنه بذل نفسه للموت علي الصليب لأن هذه كانت مشيئة الآب. قال مرة، "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا. هذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي"، (يو10: 18).

لقد أدركت المطوبة مريم أن الرب يسوع يتمتع بالقدرة قبل أن يمارسها في أول استخدام علني لهذه القدرة بعرس قانا عندما بدأ يظهر مجده. كان هذا وقت الآب، (يو2: 11). إن الرب يسوع لم يكن يخدم فقط بواسطة الروح، لكن كان يظهر مجده. قبل هذا كانت قدرته مخفية عن عامة الناس. مناقشاته مع رؤساء الهيكل وهو في عمر اثني عشر عامًا تبين أنه كان علي الدوام ممتلئ بالروح. هو الابن المنشغل فقط بعمل أبيه، والبنوة هي من خلال التمكين.

ولقب "المولود الوحيد للآب"، أو "الوحيد للآب" يعني أن الرب يسوع في تجسده هو الإنسان الوحيد الذي أتي من حضن الآب، والوحيد الذي يمكنه أن يظهر هذا الآب للجنس البشري، (يو1: 14، 18). لا يشير هذا المصطلح أنه مولود قبل الخليقة وأنه قبل الخليقة لم يكن موجودًا. إن الابن هو الإله الأزلي. لقد قال عن نفسه، "أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، الأَوَّلُ وَالآخِرُ"، (رؤ22: 13). ولا يعلمنا نص (في2: 7) أن الابن نحي قدرته جانبًا، عندما تجسَّد، لكنه اتضع ووضع نفسه في استخدامها. إنكار أنه يملك القدرة هو الإنكار لمجده، الذي جاء لكي يظهره. إن لم يكن لديه القدرة، كان من الممكن أن يغويه الشيطان علي استخدامها بإرادته. وسنتحدث عن ذلك بشكل أكبر أدناه عند الحديث عن خدمة الرب يسوع.

البنوة الأزلية:

نادي البعض بأن يسوع كان الكلمة ثم صار الابن عند ميلاده ببيت لحم. هذا الفكر غير صحيح لأنه كان الكلمة، وكان أيضًا الابن في العهد القديم، في ظهوراته المتنوعة، مثل ظهوره في أتون النار في بابل. لقد كان علي الدوام الابن. وثمة جدل دائر عن ظهورات العهد القديم إذا ما كانت هذه الظهورات للابن أو لملاك. إلا أن ما ظهر كان يقبل العبادة في مناسبات كثيرة. لقد ظهر المسيح لإبراهيم، (تك18: 3)، كما قال الرب يسوع في (يو8: 56). لقد ظهر لموسي، (خر33: 11)، وليشوع، (يش5: 14)، ولوالدي شمشون، ولآخرين في العهد القديم، (قض13: 20). تسمي هذه الظهورات باسم ظهورات ما

قبل تجسد المسيح. وقد قيل أن الذي ظهر في أتون النار في سفر دانيآل، ".. شَبِيهٌ بِابْنِ الآلِهَةِ"، (دا3: 25). إلا أن كلمة "شبيه" هي نفسها كلمة "مثل"، في عبارة، "مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ"، (دا7: 13)، والتي تصف صعود المسيح عن يمين الآب.

لقب البكر لا يعني أنه كان يوجد وقتًا لم يكن الابن فيه موجودًا كما يدَّعي شهود يهوه، (كو1: 15، 18). في الحقيقة هم لا يشهدون ليهوه الذي نعرفه في الكتاب المقدس. كلمة البكر دلالة علي المتفوق، أو صاحب المنزلة السامية. إنها تفيد معني السامي، أو الوارث للمواعيد، أو الشخص الذي انتصر. في العهد القديم كان البكر هو الوارث، وليس بالضرورة الشخص المولود أولاً، كما هو الحال مع يعقوب، وعيسو، (خر 4: 22)، وأفرايم، ومنسي، (تك48: 7؛ إر31: 9). تعني كلمة البكر في الاستعمال العبري السيد الوارث للملكوت. إنها لا تتحدث عن الولادة الفعلية في أي زمن سواء في التاريخ أو ما قبل التاريخ. إنها تعني الشخص المتفوق في المكانة.

طبيعة يسوع المسيح:

وُلِد المسيح في بيت لحم من عذراء. لقد اتخذ جسدًا بشريًا، إلا أنه بلا خطية. في طبيعته هو إله كامل صار إنسانًا كاملاً، هو شخص واحد من طبيعتين. إن طبيعة المسيح صارت موضوع جدل في القرن الخامس الميلادي، الموضوع الذي عُرِف باسم الجدل النِسطوري.

ثيودور، وتلميذه نِسطوريوس، أبطال النسطورية في الفترة مابين 386م حتي 451م، تمسكا بأن الرب يسوع كانت لديه طبيعتين منفصلتين، أي الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية. لقد كانا يحاولان مواجهة التأكيد الزائد علي طبيعة المسيح الإلهية المنتشرة في قطاع الكنيسة الشرقي بالأسكندرية، حيث خُلِع لقب والدة الإله علي العذراء مريم. تمسك النسطوريون بوجود انقسام في طبيعة المسيح. وهكذا نادوا بأن العذراء مريم كانت فقط أم لطبيعته البشرية. رأي البعض النسطورية فكرة تختزِل إلوهية المسيح. والبعض تبني الموقف النسطوري بشكل أكثر تطرفًا ونادي بأن يسوع إنسان صار ابن الله عند المعمودية، عندما دخله الروح القدس بحد زعمهم. يختلف النسطوريون في موقفهم إلا أن موقفهم الرسمي لم يكن علي الدوام هرطقة.

كان نسطور جزءًا من مدرسة أنطاكية اللاهوتية بسوريا. كانت هذه المدرسة إنسانية في فلسفتها. كان أتباعها أشباه البيلاچيين. لم يروا في الطبيعة البشرية أنها فاسدة بالكامل. لقد أفرطوا في التأكيد علي إنسانية الرب يسوع. كانوا أيضًا حَرفيين في تفسير الكتاب المقدس مقابل التفسير المجازي الذي تبناه رهبان أديرة شمال أفريقيا. لقد سعوا في مدخلهم الإنساني لإزالة الغموض من كل الأسرار الغامضة، Mysteries، مثل سر طبيعة المسيح في تجسده. إن الكيفية التي بها يمكن للإنسان، والإله أن يكونا شخص واحد في المسيح تتخطي المنطق البشري. لكن محاولة تبسيط الغموض بشأن الله هو في الحقيقة هجوم علي الإيمان. طبَّق النسطوريون هذا الفكر علي عشاء الرب أيضًا، متمسكين بأن الخبز والخمر مجرد رموز فقط.

رفض لوثر هذا الفكر في القرن 16م، بقوله أننا لا يجب أن ننكر ما يؤكِّده الكتاب المقدس وأن المسيح حاضر في المائدة بشكل سري. يسعى العلم الطبيعي لرؤية التركيب الكيميائي للخبز، وربما يطالب بنفس الشيء فيما يتعلق بالقول أن المسيح فينا. بالنسبة للوثر كان السلطان في الإيمان. إن الثالوث، وطبيعة المسيح، والاختيار، وحتى ماء المعمودية – الذي هو ليس ماء فقط بل سؤال ضمير صالح، (1بط3: 21) – كلها أسرار.

إن المدخل الإنساني قاد الحركة النسطورية إلي الحركة التوفيقية في مساعيها المرسلية. تعني الحركة التوفيقية أن الإنجيل يتم تكييف رسالته بما يتوافق مع المعاني البشرية الموجودة في المجتمعات المحلية، وهكذا مزجوا الإنجيل في معظم الأماكن بالقيم البشرية من أجل أن يكون مقبولاً بشكل سريع في الكنائس التي سرعان ما انقرضت في النهاية.

كان الموقف الذي تبنته كنيسة روما من النزاع النسطوري هو أن المسيح جوهر أو شخص واحد له طبيعتين. ومن الصعب أن ندرك ماذا يعني هذا، إن لم يكن هناك حلاً وسط بين فكر النسطورية، وموقف مدرسة شمال أفريقيا. يبدو لنا أن

المسيح يسوع هو إله كامل وإنسان كامل في شخص واحد، لأنه كيف يمكن لشخص واحد أو جوهر واحد أن يملك طبيعتين؟ إنه سر لكننا نقبله بالإيمان لأن الكتاب يعلِّم ذلك.

"وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلاَئِكَةٍ، كُرِزَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، أُومِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ"، (1تيم3: 16).

إن إلوهية وبشرية الرب يسوع غير منقسمتين في شخصه، أو طبيعته الواحدة. لقد هبَّ الآريوسيين في القرن 4م قائلين أن المسيح مجرد إنسان فقط. وهو ما ينادي به الهراطقة الليبراليين في القرن 19م، الذين أنكروا عالم الروح، والمعجزات، والحياة الأبدية. إن الكثير اليوم، من الإطار الفكري للغرب عقلاني يمتد من الفلسفة الإنسانية للمذهب النسطوري.

إلوهية المسيح:

تعلم الأسفار المقدسة بأن المسيا هو الله. إن المسيا يتمتع بكل الصفات الإلهية، فهو أزلي قبل الخليقة، والخالق المعتني بخليقته. لقد أقر الرب يسوع المسيح نفسه بذلك. لقد قبل أيضًا العبادة، والسجود، (مت28: 17). فإما أنه كان كاذبًا، أو مجنونًا، أو أنه ابن الله الأزلي.

"كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي"، (عب1: 2-3).

توجد مقاطع كتابية كثيرة في العهدين القديم، والجديد تعلن كمال إلوهية يسوع المسيح. إن اتخاذه جسدًا لم يقلل من إلوهيته في أي حال أو في أي وقت سواء قبل أو بعد ميلاده. وبينما مال النسطوريون نحو رفض إلوهيته الكاملة، مال آخرون لرفض بشريته الكاملة. تمسَّك الفلاسفة الغنوسيون الأوائل بأن المسيح كان روحًا فقط، ولم يأت في الجسد. ولقد تمسكوا بذلك لأن الجسد في اعتقادهم بحسب مذهبهم الثنائي، كان شرًا. إن تعليم الغنوسيين من جهة المسيح كان يمثل روحًا ضد المسيح، وقد تحدث عنه الرسول يوحنا، (1يو4: 3). إن ضد المسيح ليس شخصًا بعينه، لكنه أي تعليم كاذب يقاوم تعاليم المسيح، وخاصة التعاليم المتعلقة بمجيئه في الجسد ليفتدينا بدمه. قال الرسول يوحنا كل من ينكر أن المسيح قد جاء في الجسد هو روح ضد المسيح. وقال أيضًا أنه يوجد أضداد كثيرون في العالم، وأننا نعلم أن ضد المسيح يأتي. بمعني أنه ستكون هناك تعاليم باطلة كثيرة ضد المسيح.

إن بعض مسيحيي مدينة الأسكندرية، في تشديدهم المفرط علي إلوهية المسيح مالوا لإنكار بشرية المسيح. لقد كانوا غنوسيين بشكل كبير، فأنكروا علي المسيح تجسده، كما نادوا بالتركيز علي الروح ساعين لعقاب الجسد من خلال أعمال النسك، والتقشف بالأديرة. عندما جاء الإصلاح بعد ذلك بسنوات كثيرة، سعي لوثر، من ناحية، لمراجعة أفكار الفلسفة الليبرالية الإنسانية التي تميل أكثر إلي مدرسة أنطاكية اللاهوتية، ومن ناحية أخرى، كما سعى لنقد ومراجعة وثنية الخرافات المجازية التي انتهجتها مدرسة الأسكندرية في التفسير.

معمودية يسوع:

أكَّد إدوارد إيرفنج، Edward Irving، عام 1830م في لندن، علي إنسانية يسوع بطريقة مماثلة للنسطوريين. ويعتبر الكثيرون إدوارد إيرفنج، وهو خادم مشيخي، من الرواد الأوائل للفكر الخمسيني الحديث. لقد نادي إيرفنج أنه بدون معمودية الروح القدس التي قبلها يسوع عندما اعتمد، لما استطاع أن يصنع المعجزات أو يقاوم التجربة في البرية[2].

وغالبًا ما ينادي اللاهوتيون الخمسينيون اليوم بأن اختبار يسوع في نهر الأردن هو نموذج معياري لكل المسيحيين[3]. ويطالبون كل المؤمنين بأنهم يحتاجون لأن يمتلئوا بالروح القدس كاختبار ثانٍ، بعد اختبار الخلاص. هذا الملء ضروري لكي

---

[2] *Edward Irving's Incarnational Christology* by David Dorries.

يمكِّنهم من القيام بالخدمة. هذا هو الشكل أو الطريقة التي يعرِّفون بها مصطلح معمودية الروح القدس. ومع ذلك فإننا نرى من خلال قراءة بشارتي كل من الرسول يوحنا، والبشير لوقا بيانًا مختلفًا للقصد من نزول الروح القدس علي الرب يسوع المسيح بهيئة مرئية كحمامة عند معموديته في الماء. وعلي سبيل المثال، يبين الرسول يوحنا بوضوح كيف أن يسوع هو الكلمة كلي القدرة قبل معموديته، بل حتي قبل ميلاده جسديًا، (يو1).

والسبب الذي قدمه الرب يسوع لعدم فعل الآيات الجهارية قبل معموديته ليس افتقاده للقدرة علي فعلها، لكن لأن وقته أو ساعته لم تكن قد أتت بعد للإعلان عن نفسه، (يو2: 4). إن يسوع الإله يمكنه القيام بالآيات والعجائب، في أي وقت يريده، كان يمكنه حتي النزول من علي الصليب. والسبب الوحيد الذي من أجله لم يفعل الرب يسوع المعجزات في أي وقت ما قبل المعمودية هو خضوعه لخطة الآب. لقد كانت مشيئته في خضوع تام لمشيئة الآب، وبكامل اختياره. كان الأمر عدم إظهار لقدرته بشكل إرادي وليس عن ضعف فيه.

نقرأ أنه لم يقدر أن يفعل ولا آية واحدة في الناصرة لعدم إيمانهم، (مت13: 58). ليس عد إيمانهم بالآيات بل عدم إيمانهم بالابن. ولأنهم لم يكرموا الابن لم يوجه الآب ابنه لإظهار قدرته. إن ذلك الأمر ليس ضعفًا فيما يتعلَّق بنقص القدرة. وعندما قال الرب يسوع أنه لا يستطيع عمل شيء إلا بالروح، لم يقل أنه في حاجة للقدرة. لقد أكَّد العكس عندما قال، ".. قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ"، (يو8: 58). إن الرب يسوع كان علي الدوام ممتلئًا من الروح، لأن الروح يتدفق منه. كما أنه لم ينتظر معمودية الروح القدس بالأردن لكي يمتلئ من الروح. إن الرب يسوع هو أقنوم في الثالوث، ولذا لم يكن هناك وقت لم يكن فيه إلهًا. إن موقف كل من روجر سترونستراد، Roger Stronstrad، وإدوارد إيرفنج، Edward Irving، المشار لهما آنفًا يبدو أنه يشبه قليلاً النسطورية.

وتبدو لنا ثمة صعوبة أخرى مع روجر سترونستراد، Roger Stronstrad، وهي في استقاء الأمثلة من أجل المسيحيين من امتلأوا بالروح القدس قبل يوم الخمسين، إنه لا يعترف بالفرق بين العهدين القديم والجديد. وينادي بأن زكريا الكاهن، أبو يوحنا المعمدان، وآخرين حلَّ عليهم، أو ملأهم الروح القدس، من أجل الخدمة، وهو أمر حقيقي. ولكن القول بأن حلول الروح القدس من أجل القيام بالخدمة هو نموذج معياري للعهد الجديد يشبه من يريد مقابلة التفاح بالبرتقال، إذ لا يمكن المقارنة بين العهدين. لأن عبارة "حل الروح" والمستخدمة في العهد القديم هي من أجل القيام بخدمة محددة، أما في العهد الجديد فهي تعبر عن المعمودية الأولي من أجل البنوية والخدمة. بعدها توجد سكنى دائمة للروح في المؤمنين بالعهد الجديد.

لقد خدم الرب يسوع في العهد القديم، متممًا الناموس، وبهذه الطريقة حل عليه الروح القدس بنفس المعني السائد في العهد القديم. بالرغم من قدرته أن يفعل أي شيء في أي وقت إذ أنه ابن الله. وهكذا فإن الروح الذي مسحه بعد أن بلغ من العمر حوالي الثلاثين عامًا من الممكن أن نقول عنه أنه مرتبطًا بالناموس، ومن ثم بتوقيت الآب. إن معمودية الرب يسوع بالروح في نهر الأردن ليست نموذج معياري للعهد الجديد.

معمودية الأردن إعلانًا:

يخبرنا كل من البشيرين لوقا، ويوحنا بأن القصد من حلول الروح القدس علي الرب يسوع في نهر الأردن لم يكن من أجله بل من أجلنا، "وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ. لكِنْ لِيُظْهَرَ لإِسْرَائِيلَ لِذلِكَ جِئْتُ أُعَمِّدُ بِالْمَاءِ"، (يو1: 31). لقد فعل الآب ثلاثة أمور لكي يحدد هوية يسوع فيما يتعلق بأنه المسيا الذي يرفع خطية العالم:

1. تكلم من السماء قائلاً، ".. أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ بِكَ سُرِرْتُ"، (لو3: 22).
2. سمح برؤية الروح نازلاً عليه بهيئة مرئية لكي يوضِّح أنه هو يسوع الذي سيعمِّد بالروح.

---

[3] Roger Stronstad, *The Charismatic Theology of St. Luke.*

3. أرسل يوحنا المعمدان لكي يشهد، قائلاً له من قبل، ".. الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلاً وَمُسْتَقِرًّا عَلَيْهِ، فَهذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ ..."، (يو1: 31-34). وهذه هي الآية التي أعطاها الآب ليوحنا.

وهكذا فإن الغرض من معمودية الرب يسوع في نهر الأردن لم يكن لمنحه القدرة علي عمل المعجزات فهو الابن صاحب القدرة الأزلية، بل كان من أجلنا، ومن أجل إظهار الابن للعالم، حسب قول المعمدان، ".. هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!"، (يو1: 29). وهذا ما يؤكِّد عليه النص. فلا يوجد ذكر أو حتي تلميح في النص بأن معمودية الرب يسوع هي نموذج معياري أو أساس لاختبار معمودية الروح القدس كاختبار ثانٍ لمؤمني العهد الجديد.

عندما قال الآب، ".. أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ سُرِرْتُ" لم يكن من أجله بل من أجلنا. لم يحتاج الرب يسوع لإعادة تأكيد. عندما طلب من أجل لعازر قال للتلاميذ، ".. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي"، (يو11: 42). إن القصد من معمودية الرب يسوع هو أن نتمكن من تحديد هوية ذلك الواحد الذي تنبأ عنه الأنبياء بأنه عتيد أن يأتي.

غالبًا ما يشبه الفكر الخمسيني الفكر النسطوري. حيث يميل في بعض الأحيان لرؤية الرب يسوع كإنسان محتاج للمعونة، وليس كإله. الأمر الذي يُعَد إساءة فهم لتجسد المسيح. وهكذا تبني الخمسينية فكرها العقيدي عن الروح القدس. لدرجة أن تعليمها الكريستولوچي عن المسيح هشًا جدًا. في حين أن الفكر الإصلاحي عن الروح القدس هو كريستولوچي. فلا يوجد فصل. أي أن الروح مرسل من الابن، "حسب قانون الإيمان النيقاوي". لم يحتاج الرب يسوع لأن يعتمد بالروح وبنفس الطريقة، "مَنْ لَهُ الابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ"، (1يو5: 12). نحن نقبل الابن والروح معًا.

إعدادًا للخدمة؟

تعد معمودية يسوع أحد أسس الفكر الخمسيني القوية لفكرها اللاهوتي. كان يسوع في الثلاثين تقريبًا، وهو العمر المطلوب والمناسب للكهنوت تحت الناموس، (عد4: 3). وبكل وضوح لم يكن يقبل الروح للتطهير، لأنه ليس فيه خطية، ولذا يُعتقد أن معمودية الرب يسوع من المؤكد أنها كانت من أجل الخدمة. وبينما يفهم الجميع أنه من المحال أن تكون فيه خطية، يفترض البعض أنه لم يكن يملك القوة أو القدرة من أجل الخدمة بعد. نال آخرون في العهد القديم الروح القدس من أجل الخدمة، أمثال من خدموا في خيمة الاجتماع، والشيوخ الذين عاونوا موسي النبي، (عد11: 24-29).

لم يولدوا من الروح في العهد القديم، وهكذا احتاجوا ببساطة إلي مَسحَة خارجية، وليس مجرد إظهارًا بسيطًا لحياة المسيح التي كانت بداخلهم بالفعل. يتحدث البشير لوقا عن المسحة فيما يتعلق بالخدمة، (لو1: 67؛ 2: 25)، قبل الميلاد الجديد، ويتكلم أيضًا عن خدمة الرب يسوع بهذه الطريقة، (أع10: 38). يواصل البشير لوقا فكرة القوة من أجل معمودية العهد الجديد بالروح، لكنه لا يقصر هذه القوة علي الخدمة، مظهرًا أنها تتضمن التوبة والحياة، (أع10: 15-18). لا يبين سفر أعمال الرسل مَسحَة ثابتة من أجل فكرة القوة. لكن يشرح عن مسحة من أجل التطهير، والقوة. يُرى الروح القدس عامل بثبات فيما يختص بكل من الاثنين في معمودية واحدة.

رؤية المعمودية بالروح كقوة من أجل الخدمة فقط دون ارتباط ببنوة العهد الجديد، ليست من الإنجيل في شيء. إن معنى التمكين، أي كوننا نُمنَح القوة، في العهد الجديد، هو أن ننال قوة لنصبح أبناء الله، (يو1: 12). إن الكلمة اليونانية في (يو1: 12) هي إكسوذيا، *exousia*، وتعنى القدرة، والامتياز، والقوة، والكفاءة، والحرية، والسلطان .. انظر قاموس سترونج، Strong. هذه هي المَسحة، مسحة التمكين أو إعطاءك القدرة، التي يقول الرسول يوحنا أننا جميعنا قد قبلناها، (1يو2: 27). هذه القوة ليست مجرد الغفران، أو السلطان، بل هي "ديناميس، *dunamis*"، أي القوة التي تستطيع أن تغيِّر الطبيعة. لا يمكننا أن نولد ثانية بدون هذه القوة. ولا يفوتنا أن الإنجيل هو قوة الله للخلاص، (رو1: 16)، وهذا الإنجيل هو ما تم قبوله في يوم الخمسين. اقرأ أيضًا (1كو1: 18).

ذهب الرب يسوع للبرية، وصام، ورجع بعد ذلك بقوة الروح. يري البعض هذا كإعداد للخدمة، ويشجعون آخرين علي إتباع المثال، والقدوة من أجل الحصول علي القوة. لكن لا يوجد شيء في العهد الجديد، أو الرسائل يسند هذا التحليل. إن قوته لم تُكتَسَب بالأعمال، لكنها طبيعة متأصلة فيه كابن. لأنه الله، له القدرة. وإن كان كرجل يهودي، خدم تحت الناموس، ومُسِحَ بالروح القدس، لكنه خدم أيضًا بقدرته الخاصة، (رو10: 11)، وبمجد الآب، (رو6: 4). ولا يوجد شك في أن عمل الثالوث كان متناغمًا، فيما يختص بحياة الرب يسوع، قال الرب:

"لِهذَا يُحِبُّنِي الآبُ، لأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لآخُذَهَا أَيْضًا. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا. هذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي"، (يو10: 17-18).

حتى لو قلنا أن الله مَسَحَه لأنه انتصر علي التجربة، ولأنه تمم الناموس، إلي جانب القدرة أو القوة التي كان المسيح يملكها لأنه ابن الله، لكنه خضع للآب، فإن هذا أيضًا لا يمكن أن ينطبق علينا في العهد الجديد. إن مَسحَتنا وُهِبت لنا بحرية من خلال بر المسيح، بالإيمان، وليس علي أساس أعمالنا الذاتية.

مكتسبة أم طبيعة متأصلة:

إن المشكلة في النظر إلي قوة يسوع كأمر سعى إليه هي أنها تقود للإيمان بأنها قوة مكتسبة بدلاً من الإيمان بأن قوته هي قوة طبيعة متأصلة فيه. نحن نملك قوة لأننا في المسيح، وليس بسبب ما نفعله من ممارسات دينية. وهذا الفكر من الأمور الفاصلة في الإيمان المسيحي. لأن ما يهم هو التعليم الكريستولوچي. لأنه يؤثر علي الطريقة الكلية التي نحيا بها حياتنا المسيحية. يُقال أيضًا حيث أن يسوع كان ينمو في القامة، والنعمة كإنسان، ونتيجة لذلك قَبِل قوة جديدة عند معموديته. هذا التعليم الكريستولوچي عن المسيح يشدد علي إنسانيته. إن هذا الموقف يبسط بشكل مفرط سر تجسده. إن الرب يسوع هو الإله الكامل المتأنِّس، الأمر الذي ليس له أي معني من الناحية العلمية. إن الجدل الكريستولوچي هو قضية رئيسية فيما يتعلق بوجهات النظر الخمسينية اليوم.

إن صيامه، وتجربته في البرية لم يكونا لإعداده للخدمة، لأنه انتصر علي التجربة من أجلنا، إذ أنه آدم الثاني رأس العائلة البشرية الجديدة من المفديين. لقد سقط آدم الأول، فسقط معه الجميع، أما يسوع، وهو آدم الآخير، لم يسقط فارتفع معه الجميع. لقد جُرِّب كإنسان، لكنه لم يخطيء كإله. إن خلاصنا كان مؤكدًا في التجربة لأن المسيح هو الله المنتصر بالفعل.

الروح علي يسوع:

سنعالج تفاصيل معمودية الروح في فصل تالٍ. فيما يرتبط بالتعاليم الكريستولوچية، وغالبًا ما يذكر الكتاب أن روح الرب علي يسوع، (مت12: 18؛ لو4: 18؛ لو3: 21). وقد أشار البعض بأنه يوجد فرق بين حلول الروح علينا للقوة، والملء بالروح، فينا للخلاص. إن المصطلحات، أي المفردات اللغوية لا تظهر هذا الفرق الفني، ورغم أن الملء مصطلح مستخدم من أجل الخدمة في العهد القديم، (خر35: 31؛ لو1: 41)، وإن كان هذا "الملء" ليس دائمًا من أجل البنوية آنذاك، إلا أن مصطلح "حل علي" مستخدم أكثر في العهد القديم من أجل الخدمة، (عد24: 2؛ قض3: 10؛ 6: 34؛ 11: 29؛ 14: 6، 19؛ 15: 14؛ 1صم10: 6، 10؛ 11: 6)، وشواهد أخرى أكثر تشمل المطوبة مريم في (لو1: 35)، أي في ذلك العهد الذي خدم فيه الرب يسوع. إن حرف الجر "علي" مستخدم من أجل الملء الأول للمؤمنين في العهد الجديد، (أع1: 8؛ 8: 16؛ 10: 43-45؛ 11: 14-16؛ 19: 6). يمكن أن يشير حرف الجر "علي" للمنظور الخارجي لما هو في الداخل بالفعل.

بعد المعمودية الأولي بالروح، التي قبلها المسيحيون، نجد أن المصطلح الأكثر شيوعًا في العهد الجديد من أجل أعمال القوة هو "امتلئوا بالروح" للحديث عن ما هو موجود بالفعل في داخل المؤمن، (أع6: 3؛ 7: 55؛ 11: 24). ونحن نعلم أن ملء روح البنوة دائم، (2كو1: 21، 22؛ 1بط4: 14؛ 1يو2: 27). الملء الدائم هو المَسحَة، هو تمكين المؤمن بقوة من أجل البنوة، والكاريزما. وسنغطي هذا الموضع أكثر في فصول أخرى، وخاصة عند النظر إلي ما تشير إليه كل من عبارة "مملوء ب، filled with"، وكلمة "كاريزما، charisma".

عمل المسيح:

علَّم الرب يسوع الناموس في الموعظة علي الجبل وفي مناسبات أخرى، ليقدم لنا فهمًا عن حاجتنا للنعمة. لقد علمنا عن ملكوت الله بالأمثال، والقصص. تعاليمه كانت موضوعية. لقد فسر النصوص المقدس، معطيًا إياها تفسيرًا واضحًا فيما يتعلق بالمعني المقصود منها. تعليمه عن الروح كان نبويًا، إذ أنه لم يتحقق إلا بعد أن تمجَّد، وتمجيده يعنى كل من موته، ودفنه، وقيامته، وصعوده للجلوس عن يمين الآب. بعد جلوس المسيح مُنحت الكنيسة تحقيق الوعد بمجيء بالروح القدس، (يو7: 37). العمل الرئيسي الذي أنجزه الرب يسوع هو الصليب، والدفن، والقيامة. لقد مات لكي يرفع الخطية. البعض يعلِّم بأنه مات فقط كمثال للحب وكقدوة لمن يحول الخد الآخر أيضًا. إن هذا ينكر عليه عمله التكفيري الذي قام به. لقد مات يسوع ليبطل خطيتنا. تشهد كل الأسفار للسبب الذي من أجله قد جاء المسيح، ليرفع الخطية، وليموت مرة واحدة، وإلي الأبد بتقديم نفسه، وسفك دمه كفارة من أجل خطايانا، ليوفي مطالب بر الله العادلة، (رو3: 25). كما هو مكتوب، "اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ .."، (حز18: 20). جاء يسوع ليحمل موتنا علي نفسه من أجلنا.

قيامة المسيح:

بالمثل كانت قيامة المسيح تحقيقًا لنبوة العهد القديم، الذي تنبأ أن ملكوته سيلي آلامه، (إش53: 10–12)، ولم يتنبأ الملك داود فقط عن أسلوب موته بثقب يديه، ورجليه، (مز22)، بل أيضًا عن قيامته، بالقول بأن جسده لن يرى فسادًا، وأن نفسه لن تُتْرَك في القبر، (مز16: 10).

من جهة تاريخية القيامة، يسجل المؤرخون العلمانيون معجزات المسيح، وتعليمه، وموته، والنمو السريع للكنيسة الذي تلي موته وقيامته، وما نادت به الكنيسة عن قيامته. لكن لا يجد المؤرخون دليلاً بواسطة أعداء الكنيسة ضد القيامة. وتشمل التأريخات العلمانية التي تذكر يسوع في القرن 1م، كل من ڤيليوس باتِركيولوس، Villius Paterculus، خرافات فيدروس، Fables of Phaedrus، مارشيل، Martial، تاسيتوس، Tacitus، يوسيفوس، Josephus، ستاتوس، Statius، وكنتيليام، Quintilliam.

وإن لم تكن القيامة حقيقية، فما الذي حدث لكل النبوات من جهة المسيح، ولماذا ضحَّى الشهود بحياتهم من أجل الشهادة للقيامة؟ كل التلاميذ ماتوا وهم يشهدون حتى الدم للقيامة. ولماذا نمت هكذا الكنيسة بسرعة وملأت الإمبراطورية الرومانية وما وراء حدودها في خلال أربعين عامًا؟ لقد قام الرب يسوع بالجسد. إن نفس الجسد الذي صلب به قام أيضًا به من الموت. لكنه قام بجسد خالد، نفس الجسد لكن خاليًا من الفناء. ولا يزال يملك جراحاته، لكنه جسدًا لديه القدرة علي المرور عبر الحوائط والأبواب المغلَّقة، (لو24: 36). يمكنه أن يأكل من أجل الشركة، لكنه لا يحتاج لهذا الطعام من أجل دوام الحياة فيه، (يو21: 15).

الروح القدس:

الروح القدس شخص. الروح هو الله. إنه أقنوم في الثالوث، يعلن مشيئة الله لشعبه. الروح هو مفسِّر الله، الذي يظهر لنا الله. يقود، يرشد، يعلِّم، يجرى المعجزات، وفي كل هذه الأعمال يشير إلي المسيح، (يو16: 13، 14). وهو يجدد المؤمن للميلاد الجديد، ويغرس فيه الطبيعة الإلهية، (تي3: 5). إن المسيحية تكون مستحيلة بدون الروح القدس، لأن المسيحية ليست عقيدة، أو مجرد إيمان ببضعة أمور. كما أنها ليست تتميم لبعض المطالب والفروض، أو العيش بطريقة ما، بإتباع نمط ديني معين. لأنه يمكننا أن نقوم بكل هذه الأعمال ولا نكون مسيحيين. المسيحية تقوم بالروح القدس في داخلنا. فالذين لديهم الروح القدس فقط هم المسيحيون. الروح القدس يأتي بالمسيح داخل قلوبنا، كما قال الرسول بولس، "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ .."، (غل2: 20). إن لم يكن المسيح حيًا فينا، فلسنا مسيحيين، (رو8: 9). من الواضح تمامًا أن الله يتولى كل جزء من خلاصنا بنفسه. وإن لم يفعل ذلك فلن يتحقق الخلاص. هو بنفسه، في ابنه، مات من أجل خطيتنا، هو بنفسه، بروحه يأتي بنا لعائلته.

العهد القديم:

كان الروح القدس مع شعب الله في العهد القديم، لكنه لم يكن ساكنًا فيهم، (يو14: 17). كان يحل علي بعض الناس، مثل الملوك، والأنبياء، ليتمم مقاصده. ولم يسكن الروح القدس في شعبه بشكل دائم بصفة دائمة إلا في العهد الجديد، (1يو3: 24). امتلأ يوحنا المعمدان من الروح القدس وغيره في العهد القديم، (خر31: 3)، لكن هذا كان من أجل خدمة مؤقتة. لقد امتلئوا فيما يرتبط بتمكينهم من أداء خدمة ما، دون ارتباط بالعهد الجديد حيث يولد شعب الله من الروح، ويصبحون أولاد لله. والتعبير أولاد الله مستخدم بطرق مختلفة في الكتاب المقدس. في العهد الجديد تعني الولادة من الروح نوال الطبيعة الإلهية، (غل3: 26). قبل يوم الخمسين قال الرب يسوع لتلاميذه عن الروح القدس، "رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ"، (يو14: 17). كما قال الرسول يوحنا، "... لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ"، (يو7: 39).

العهد الجديد:

"وَإِذِ ارْتَفَعَ بِيَمِينِ اللهِ، وَأَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنَ الآبِ، سَكَبَ هذَا الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ تُبْصِرُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ"، (أع2: 33).

لقد أُرسِل الروح بواسطة المسيح بعد أن تمجَّد عن يمين الآب، لكي يمثِّل المسيح كرأس لجسده، الذي هو الكنيسة. يأتي الروح القدس باسم المسيح، ويتكلم عن المسيح، ويخدم وارثي الحياة الأبدية ببركات المسيح. قال الرب، ".. لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، .. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي"، (يو16: 14). ويفعل الروح القدس هذا من خلال الإنجيل. إنه صوت المسيح، متكلمًا بكلمة الله لقلوبنا، ليلدنا من جديد. هو يدعم حياتنا يوميًا، بالسكنى في أجسادنا. ولا يختلف الروح القدس مع الكتب المقدسة أبدًا. هو المؤلف لهذه الكتب، والمتمم لها بحسب مشيئة الله، والمسيح بحسب مشيئة الآب.

كما يمنح الروح القدس مواهب للكنيسة، كالشفاء، وعمل القوات، والإيمان، والمعرفة، لكي يدعمنا في وقت الحاجة. هذه المواهب معطاة لصالحنا ولخير جسده، وبمشيئة الروح وليس بتوقيتنا نحن، طريقتنا، أو عملنا. يمنح أيضًا مواهب خدمة للكنيسة، لتأسيس الكنيسة في أي جيل. وكل هذه الأمور بحسب مشيئته وليس بحسب طرق الناس التي تعلموها أو توارثوها، وذلك حتى يمكن لشعب الرب أن يحيا بواسطة محبة وقوة المسيح داخلهم بدون أن يفسدهم الاتكال علي الذات.

تعريف الحركة الخمسينية:

يمكن تعريف الحركة الخمسينية علي أنها الشهادة المقتدرة بالروح للمسيح. إن الروح القدس يعمل في داخلنا لنستمر في خدمة الرب يسوع. الروح القدس لا يمثل نفسه في خدمته الخاصة. برهانه، وشهادته هما عن المسيح وليسا عن نفسه. يسوع المسيح هو الذي مات من أجل الخطية، هو المخلِّص. أما الروح القدس يمكِّن المؤمن، إلا أن موضوع التمكين ليس هو موضوع انتباهنا، لأن الروح يشير إلي المسيح. نحن لا نصلي إلي الروح أو نعبده. نعم هو الله، لكن الله يوجه العبادة كالتالي:

يأخذنا الروح القدس من خلال المسيح إلي الآب. الروح يقدِّم لنا إمكانية العبادة الحقيقية. بدونه لا يمكن أن نري الله أو نعرفه، أو نرضي الله أو نعبده. كل هذه الخدمة لا يقوم بها الروح باسمه، لكن باسم يسوع المسيح. يسوع المسيح هو الشخص الذي من خلاله يتحرك روح الله. لأن الآب يريد أن يكرم الابن، (يو5: 23؛ 6: 28، 29؛ 1يو4: 3؛ 1يو5: 11، 12).

في سفر الأعمال، كان التلاميذ الأوائل شهود عيان لقيامة المسيح، ".. وَالرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا .."، (أع5: 32). وأينما نجد أي روح يشهد عن نفسه، نتيقن أنه ليس الروح القدس. إن التأكيد الذي تظهره كل عظة في سفر أعمال الرسل هو التأكيد عن المسيح، عن موته، وقيامته، اقرأ علي سبيل المثال (أع2؛ 3؛ 5؛ 7؛ 8؛ 10). إن شهادة الروح القدس هي دائمًا "يسوع المسيح هو رب".

"فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَالرُّسُلُ وَقَالُوا: يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ. إِلهُ آبَائِنَا أَقَامَ يَسُوعَ الَّذِي أَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ. هذَا رَفَّعَهُ اللهُ بِيَمِينِهِ رَئِيسًا وَمُخَلِّصًا، لِيُعْطِيَ إِسْرَائِيلَ التَّوْبَةَ وَغُفْرَانَ الْخَطَايَا. وَنَحْنُ شُهُودٌ لَهُ بِهذِهِ الأُمُورِ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا، الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ"، (أع5: 29-32).

في سفر أعمال الرسل تحدث الرسول بطرس عن عددين أو ثلاثة أعداد من سفر يوئيل عندما تساءل الناس ما الذي يحدث. قال لهم أن الروح القدس أُعطي من خلال المسيح، وبعدها كرز بالمسيح في باقي الأصحاح. إن الطريقة التي توصل بها الروح القدس للناس هي أن تعظ بالمسيح، لا أن تعظ عن الروح. إن الروح قد أُعطي لنا من خلال المسيح. ولنذكر القول الكتابي أن يسوع هو الذي يعمِّد بالروح القدس. أي خدمة تدعي عمل المعجزات دون أن يكون المسيح مركز رسالتها، أو دون أن تعلم عن كفارته من أجل الخطية، أو عن قيامته من الأموات، أو عن سيادته، أو عن قوته المغيرة في الميلاد الجديد لتحرير الشعب من سلطان الخطية، وتقديسه، أو لا ترفع من شأن كلمة الله كحق به سيدين الله الناس، فهي خدمة ليست من الله. الله يسمح لهذه الخدمات المزيفة بأن تجرى المعجزات، أو تظهر أعمال قوات، ليمتحن قلوب الناس، ليبين إذا ما كان هؤلاء الناس قد قبلوا محبة الحق، واتبعوه، أم أنهم يتبعون الآيات لهلاك أنفسهم، (2تس2: 10-12). "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ"، (يو5: 13؛ 1يو4: 1).

الملائكة:

كلمة ملاك تعني رسول. والملائكة تخدم الله، كما تخدم أيضًا شعب الله. ليس لدينا مسئولية تجاه الملائكة. لا نصلي لهم، أو نرسلهم للقيام في مهام معينة لأن:

1. هذا سيؤدي لعبادة الملائكة والوثنية.
2. أمرَنا الرب يسوع بوجوب الطلب من الآب باسمه، (يو16: 23). ولم يقل بوجوب الصلاة للملائكة.
3. يقول الكتاب أن الله يوصي ملائكته بنا، (مز91: 11). هذا يعني أن الله يوجه خدمة الملائكة من أجلنا.
4. لو قمنا بتوجيه خدمة الملائكة فإن الأمر لن ينجح بشكل جيد. وسيعتمد الأمر علم فكرنا في أن نعطيهم التعليمات الصحيحة في الوقت المناسب، بفرض أننا نعلم كل شيء مطلوب عمله. لكن نحن لا نملك مثل هذه المعرفة، لأنه إن نسينا أن نولي ملاكًا مسئولية ما، فإن حياتنا ستكون في خطر.
5. الرب يسوع حي إلي الأبد ليشفع فينا، لتكون خدمة الملائكة كافية من أجل احتياجاتنا، (عب7: 25). إن خدمة الملائكة من أجلنا جزء من العهد الجديد، الذي يباشره الله من أجلنا بنفسه كما قال، (عب1: 14؛ مز103: 20).

ثمة اعتقاد آخر يتصوره الناس أحياناً عن الملائكة ألا وهو التسلسل الهرمي للرتب الملائكية. من الواضح أن كل من جبرائيل، وميخائيل ملاكين من أجل خدمة إسرائيل في العهد القديم، لكن الكتاب المقدس لا يقدِّم لنا تفصيلاً عن ذلك. والبعض مثل چون ويسلي، وآخرون، قالوا أن ميخائيل هو مصطلح عهد قديم يشير للمسيح. إن الدراسة الأكثر حرصًا هي أمر مطلوب إن أردنا قول المزيد عن الملائكة. كما يذكر لنا الكتاب فئة أخرى من الملائكة اسمها السيرافيم. ومع ذلك، لا يقدِّم لنا الكتاب المقدس وصفاً واضحًا عن تسلسل هرمي لرتب ملائكية، ولا عن أدوار الملائكة المتنوعين. نحن لا نعلم تفاصيل هذه الأمور، ولا يُفترَض أننا نعرفها. الرب هو الوحيد الذي يوجه عمل الملائكة.

يوجد بالكتاب أيضًا ملاكًا معروفًا باسم "ملاك الرب"، والذي يذكره الكتاب مرات كثيرة. وهوية هذه الملاك من الممكن أن تختلف بحسب سياق النص. وتعني عبارة ملاك الرب رسول الرب، لكنها يمكن أن تعنى أيضًا تجليًا لابن الله نفسه في صورة ملائكية، تُدعي أحيانًا تجليات المسيح قبل التجسد. ويبدو أن ملاك الرب غالبًا ما يقبل العبادة، أي السجود، كما الحال مع الملاك الذي ظهر لوالدي شمشون، (قض13: 20)، والملاك الذي ظهر لإبراهيم وأكل معه، وملاك حضرة الله الذي كان يتبع موسي، ورئيس جند الرب الذي ظهر ليشوع عند العبور لأرض الموعد، وملكي صادق. وعمومًا يوجد غموض ما في هذه الظهورات كما الحال مع ملكي صادق الذي يقرر سفر العبرانيين أنه أعظم من إبراهيم الذي قَبِل المواعيد، (عب6: 7)، وأنه الشخصية الوحيدة التي لم يذكر السفر عنها أنها أدني من المسيح.

بنو الله:

وقد يشير أحيانًا تعبير "أبناء الله" إلي الملائكة في نصوص متنوعة، مثل (أي1). ويشير هذا إلي السمو، أو الواجبات السيادية في ملكوت الله. أحيانًا تُدعي الملائكة في العبرية إيلوهيم، Elohim، والتي تعني القاضي. الله هو إيل، El، السامي. بعض من هذه الملائكة مطيعون لله، والبعض الآخر متمرد عليه، بالرغم من أنهم جميعًا تحت سلطانه، (2بط2: 4). إن تعبير "أبناء الله" لا يشير علي الدوام إلي الملائكة. بل يمكن أن تشير إلي البشر، الذين أعطي الله لهم السلطان علي حيوانات الأرض تحت مشيئته. في العهد القديم، من الممكن أيضًا أن تشير للناس الذين ساروا مع الله. ويمكن أن تعنى أيضًا قاضي، أو تعني الذي تشكَّل مباشرة من الله علي صورته، كما كان آدم. واستعمال العهد القديم لا يشبه أبدًا استعمال العهد الجديد. يعني تعبير أبناء الله في العهد الجديد المولودين ثانية من الروح. وربما لم يكن بنو الله الذي دخلوا علي بنات الناس في (تك6) ملائكة، بل أولاد النسل التقي من شيث الذين سكنوا مع بنات الناس الفاجرات. إن الله لم يرد للنسل التقي بأن يتزاوج مع الفجار. لقد حفظ سلسلة نسب المسيح نقية حتي جاء النسل الموعود به. كما كان إبراهيم حاسمًا من جهة الزوجة التي يجب أن يتزوجها إسحاق، (تك24: 3). ولا يجب أن يفوتنا أنه من الأسباب التي استدعت دينونة الطوفان حفظ سلسلة نسب المسيح، وضمان تحقيق الوعد بمجيئه. أيضًا قال الرب عن الملائكة أنهم لا يزوجون ولا يتزوجون، (مت22: 30).

إن مزاعم البعض اليوم بأن بنات الناس قد سكنتها الأرواح الشريرة ليست مزاعم حقيقية. والكلمة العبرية المترجمة جبابرة، في (تك6) تعني رجال ذوي شهرة. لقد كانوا فجارًا، حكامًا مستبدين مثل نمرود والملوك الذين تلوه فيما بعد. كما أنه لا يوجد ارتباط بينهم وبين جليات. بحسب نص (تك6)، أدان الله البشر من أجل قلوبهم الشريرة، وليس من أجل الأرواح الشريرة أو الملائكة. أما النصوص الواردة في (يه6؛ 2بط2: 4) من المحتمل أنها تشير إلي تمرد الملائكة، وليس إلي (تك6). أما القصص الخرافية التي تنسب الأرواح الشريرة لتعبير أبناء الله في (تك6) فهي مبنية علي الكتابات الأبوكريفية الكاذبة التي كُتِبَت في فترة ما بين العهدين. ويمثل سفر أخنوخ أحد هذه الكتب. وهو سفر لم يكتبه أخنوخ. إلا أن مثل هذه الكتب مفيدة لوصف الفكر اليهودي في الوقت السابق لمجيء المسيح. وكون يهوذا الملهم بالروح القدس يستخدم عبارة وردت من سفر أخنوخ لا يعني أن السفر موحي به من الله.

لقد تم استخدام سفر أخنوخ، وكتابات أبوكريفية أخرى بواسطة الكتاب المسيحيين الأوائل، بافتراض أن يهوذا قدَّم لهم رخصة في ذلك في إتباع التقشف اليهودي الذي أدي لتعاليم لاهوتية زائفة اندمجت في تاريخ الكنيسة المبكر، كما تبناها القرآن أيضًا. جرَّد مجمع لاودكية، عام 364م علي الفور سفر أخنوخ من سلطانه، وبعدها قاموا بعمل منشور عام حتي هذه الأوقات الحديثة. بعض التعاليم المعاصرة تُبني ثانية علي هذه الأسس من الأفكار اليهودية[4]. هذه الأفكار اليهودية مؤذية، ونتفق مع تفسير يوحنا كالفن لنص (2بط2: 4) حيث يقول، "كما أن الرسول بطرس يذكر هنا لكن بإيجاز سقوط الملائكة، وبما أنه لم يعين الوقت، والأسلوب، والظروف الأخرى، يليق بنا أن نتحدث بتعقل عن الموضوع .. وبالحق فإن أولئك الذي يتساءلون بفضول، لا يهمهم التعليم البنَّاء، لكن يسعون لإطعام أنفسهم بتخمينات باطلة. لأن المفيد، هو ما أعلنه لنا الله، وهو أن الأرواح الشريرة خُلِقت أولاً، لتخدم، وتطيع الله، ولكن من خلال إثمهم الشخصي ارتدوا، لأنهم لم يخضعوا لسلطان الله، وهكذا فإن الشر الذي وُجِد فيهم الشر كان عارضًا ولم يكن متأصلاً في طبيعتهم، ومن ثمَّ لا يمكن أن ننسبه لله .."

وإجمالاً، تعلمنا أن نقبل ما تقوله النصوص المقدسة بدون التخمين لأبعد مما هو معلن بوضوح. قال الله لموسي أن الأمور المعلنة هي من أجلنا ومن أجل أولادنا من بعدنا، أم السرائر فهي لله، (تث29: 29). الديانات الوثنية التي تعتمد علي استخدام الممارسات السحرية تُعرف باسم الديانات السرية. فعندما نخمن وندخل في أسئلة لا تنتهي لنبني عقائد أو تعاليم من جهة أمور ليس لها أهمية كبيرة في الكتاب المقدس نجد أنفسنا خارج مشيئة الله، وقد أمرنا الرسول بولس أن لا نقع في هذا:

"وَلاَ يُصْغُوا إِلَى خُرَافَاتٍ وَأَنْسَابٍ لاَ حَدَّ لَهَا، تُسَبِّبُ مُبَاحَثَاتٍ دُونَ بُنْيَانِ اللهِ الَّذِي فِي الإِيمَانِ"، (1تي1: 4).

---

[4] www.jewishencyclopedia.com

الشيطان:

إذا كنا نتحدث عن الملائكة أو الأرواح الشريرة يوجد شيء لا بد أن نفهمه. بالرغم من أن الكتاب المقدس يصرح ببعض الأقوال عن هذه الكائنات إلا أنه لا يصف تعليمًا لاهوتيًا مفصلاً عنهم. والسبب الرئيسي من أجل ذلك هو أن كل من الملائكة والأرواح الشريرة تحت سيادة الله، كما أنهم في إطار اختصاصه وليس اختصاصنا. إن مهمتنا هي أن نثبِّت العيون علي الرب يسوع ولا نعطي إبليس مكانًا، (عب12: 2؛ أف4: 27). لاحظ أن الله لم يحذر آدم من الحية، لكن أخبره فقط بأن يطيع وصيته. إن كل ما هو مطلوب منا الطاعة فقط.

لا يتكلم الكتاب عن أصل الشيطان، ولا يتحدث مباشرة عن سقوطه. ولا يوجد بيان واضح في الكتاب عن ماهية الأرواح الشريرة. من المحتمل أنهم الملائكة الذين سقطوا، لكن الكتاب يذكر أن الملائكة الذين سقطوا مقيدين، إن لم تكن هذه القيود تصور هزيمتهم وعذابهم، (يه6). الأرواح الشريرة ليست أرواح متجسدة من الجنس المُسمي "قبل الآدمي". لا يذكر الكتاب جنسًا قبل آدمي للبشر، لكن يؤكد أن آدم هو الإنسان الأول، (1كو 15: 45). وعندما قال الرب، ".. رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ ..."، لم يكن يتكلم عن السقوط الأصلي للشيطان، لكن عن انتصاره الشخصي، (لو10: 17-19). لقد كان يشير لمجيء ملكوت الله المحرِّر للبشر، ولتفوق النعمة علي الناموس، ولطرح المشتكي بسبب صليب المسيح. عندما ذهب الرب للصليب قال، "اَلآنَ دَيْنُونَةُ هذَا الْعَالَمِ. اَلآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هذَا الْعَالَمِ خَارِجًا"، (يو12: 31). وبالمثل نص (رؤ12: 7-10) لا يتكلم عن السقوط الأصلي للشيطان، وارتداده، لكنه يصوِّر كل من انتصار المسيح علي الصليب، ويؤكد أن المشتكي علي إخوتنا قد طُرح. كما يرتبط النص بالعهد الجديد بالقول، ".. الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ .."، (رؤ12: 10).

> **"وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ، وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ وَلَمْ يَقْوَوْا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي السَّمَاءِ. فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ. وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا قَائِلاً فِي السَّمَاءِ: الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ، لأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا، الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلهِنَا نَهَارًا وَلَيْلاً."، (رؤ12: 7-10).**

سقوط الشيطان:

لم يتحدث الكتاب المقدس بالتفصيل عن سقوط الشيطان وارتداده. يمكننا أن نخمن طبيعة هذا السقوط من خلال طبيعة التجارب التي يغوى بها الناس. لقد أغوى آدم وحواء علي أن يتمردا علي الله، ويطمحا في أن يكونا مثل الله. وقد قيل أن نصوص مثل، (إش14)، و(حز28) يشيران لسقوط الشيطان. إلا أنه توجد لدينا مشكلة عند تبني هذه النظرة. أولاً، أنه لا يوجد قرينة أخرى في الكتاب تخبرنا بأننا يجب أن نفسر هذه النصوص بهذه الطريقة. نحن نفسر بعض المقاطع الكتابية علي أنها تشير للمسيح، لأن كتبة العهد الجديد فعلوا ذلك. لكننا لا نجد الرب، ولا الرسل فسروا نصوص العهد القديم بهذا الشكل فيما يتعلق بالشيطان. ثانيًا، لا يمكننا أن نري لماذا يجب أن نفسر (إش14) كإشارة للشيطان في حين أن مقطع النص يقرر بالتحديد أنه يشير إلي ملك بابل، (إش14: 4)، وإلي إنسان في (إش14: 6). إن النص يصف كل ما فعله ملك بابل في تدمير الأمم. كما يصف النص هزيمته، التي تحققت بعد النبوة.

إن اسم "لوسِفَر، Lucifer"[5] كما ورد في الترجمة، "KJV" في (إش14: 12) ليس اسم الشيطان. إن أول من استخدم هذا الاسم هو چيروم في القرن 4م في ترجمته اللاتينية، "الڤولجاتا، Vulgate"، لكن في اللغة الأصلية تعني الكلمة نجمة الصبح، أو كوكب الزُهرة، Venus. وهذا الكلمة من الترجمة السبعينية، مستخدمة في (2بط1: 19) لتشير إلي المسيح، كوكب الصبح. فلأن البابليين عبدوا النجوم، كان الملك أيضًا كاهنًا للآلهة كما أنه حمل أسمائهم. إن نص (إش14) يتحدث عن سقوط بابل، وملكها. أما الأعداد، (إش14: 13-14) التي تتكلم عن ترفيع الملك لذاته فهي تشير إلي كبرياء الملك. إن برج بابل

---

[5] وهو الاسم الذي يرد في الترجمة العربية سميث وڤانديك مترجمًا بتعبير "زُهرة بنت الصبح"، المترجم

والزيجورات[6] كانت عالية، (تك11). كان الكهنة والملك يصعدون عليها إلي السماء. كما أن كبرياء ملك بابل يظهر بكل وضوح في (دا4) من خلال قصة نبوخذنصَّر، الذي عبده البابليون. لو أن طموح التمثل بالله يمثل أي شيء آخر في الكتاب المقدس غير ملك بابل فلن نجد إلا الجنس البشري عامة. وهو نفس الطموح الذي كان لآدم وحواء في جنة عدن.

بالمثل نجد نص (حز28) يتكلم عن دينونة مملكة صور. يتحدث النص عن ملك صور، (حز28: 2، 12). ويقول بكل تحديد أنه إنسان، (حز28: 2)، والتي ترد حرفيًا "آدم". في اللغة العبرية، تعني كلمة آدم رجل أو إنسان. ويقول أنه أحكم من دانيآل. يشير هذا إلي اعتداده بالذات، والكبرياء. لقد صار غنيًا بسبب تجارته. قال الله بأنه سيجلب عليه غرباء عتاة الأمم. وهذا يصف بالضبط مدينة صور ومصيرها. يشير (حز28: 11) لمجد وغني المملكة. وجملة "أَنْتَ خَاتِمُ الْكَمَالِ .."، تشير إلي أن الملك كان لديه كل شيء. أما تعبير أنه كان في عدن، يشير للبهاء في كل شيء بمصاحبة الموسيقي، حيث أن الكلمة العبرية عدن تعبِّر عن الفردوس. كما أن ثروته يشار لها بالأحجار الكريمة في قصره، وهيكله المذكور في النص.

يشير كل من التعبيرين، "الْكَرُوبُ الْمُنْبَسِطُ، anointed cherub"، و"جَبَلِ اللهِ الْمُقَدَّسِ"، إلي دور الملك كرئيس كهنة وجرأته علي ممارسة الأمور الدينية. ويشير كماله إلي بهاء مملكته، أما تعبير "يَوْمَ خُلِقْتَ" أي يوم تتويجك كملك. وهو نفس ما يعنيه الأمر في (مز2). ".. أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ" الذي يشير إلي ترفيع المسيح علي العرش. إن اللغة المستخدمة في هذا المقطع لغة شِعرية تصف كبرياء ملك صور. أما خطية ملك صور الرئيسية يعبِّر عنها (حز28: 18)، ".. ظُلْمِ تِجَارَتِكَ .."، وتعني بحسب الترجمة (NIV)، عدم أمانته في التجارة. والشيطان لا يتاجر. وينتهي النص بالقول أن ملوك الأرض، وكل الشعوب سيندهشون عندما يرونه رمادًا علي الأرض. إن النص يتحدث عن تدمير مدينة صور. لو أن النص يشير إلي أي شخص آخر فلن نجد إلا كبرياء آدم، وحواء، أي بشريتنا عمومًا في سقوطنا.

قال الكثيرون أن (حز28) نص يعلِّم بأن الشيطان كان قائد العبادة في السماء قبل السقوط. إن النص الكتابي لا يؤكد ذلك. وإن تفسير النصوص المقدسة بهذا الشكل يجعل كل أسفار الأنبياء اعتباطية. نحن ندرس كل من القرينة، أو السياق اللغوي والتاريخي من أجل المعني المقصود من الكلمات. وإن لجأنا لدراسة التفاسير حول هذين المقطعين الكتابيين يجب أن نعود للتفاسير التي تسبق المذهب التدبيري، أو تسبق الأعمال الحديثة التي تتجنبهما.

الرؤساء:

القول الذي ينادي بأن تعبير "رئيس مملكة" يشير إلي قوة روحية هو فكرة انتشرت بواسطة سكوفيلد، Scofield، وآخرين. ونصوص مثل (دا10: 13) التي تشير إلي "رئيس مملكة فارس" مستخدمة لتصوِّر الأرواح الشريرة وهي تحارب ضد الملائكة الأبرار في السماويات. يستخدم الكتاب المقدس، KJV، كلمة الرئيس أو الرؤساء مئات المرات في العهد القديم، لكنه لا يستخدم الكلمة "رئيس" حتى ولو مرة واحدة ليشير بها إلي حاكم روحي لأمة أرضية. إن الكلمة مستخدمة عن الملاك جبرائيل وعن المسيح. وكل مرة تُستعمل فيها كلمة "رئيس" عن ملك شعب ما، تشير دائمًا لملك بشري.

كُتِبَ (دا10) بعد أن أمر الملك كورش، Cyrus، يهود السبي بالعودة إلي أورشليم، وإعادة بناء الهيكل. عندما كُتِبَ (دا 10)، كان قَمبيز حاكم فارس يقاوم العمل في أورشليم. ولأن الأسفار قُسِّمَت إلي أقسام تاريخية، وشعرية، ونبوية في العهد القديم أحيانًا نجد أنفسنا نقرأ سفرًا نبويًا دون ربطة بالفترة الزمنية الصحيحة التي يرتبط بها. كُتِبَ (دا10) أثناء فترة زربابل، أي أثناء مقاومة اليهود وهم يعيدون بناء الهيكل. كان دانيآل يتنبأ في هذا الوقت، كما كان حجَّي، وزكريا أيضًا. كان الأنبياء يعاونون اليهود بتشجيعهم من خلال كلمة الرب. كان الملاك جبرائيل يقف معهم ويعاونهم، كما جاء ليقف مع دانيآل في (دا10). نتفق مع چون ويسلي، John Wesley، أن رئيس فارس كان الملك البشري لفارس المدعو قَمبيز الذي كان يقاوم إسرائيل. ذهب جبرائيل ليقف مع اليهود وتأخر في المجيء لدانيآل. لقد سمح الله بالتأخير. إن (دا10) ليس عن رئيس

---

[6] هو اسم الأبراج عند البابليين، ويعني قمة أو أعلى نقطة في جبل، دائرة المعارف الكتابية الجزء الثاني، ص 16، المترجم.

شيطاني يملك علي فارس ولا عن الملاك جبرائيل محاربًا قوة شيطانية في السماويات. والقول أن الشيطان يؤخِّر مقاصد الله ليس من التعليم الصحيح في شيء. يقول تفسير ويسلي لنص (دا10: 13) الآتي:

"مُقَابِلِي .. سمح الله لمشورات قمبيز الشريرة أن تتم لفترة؛ لكن دانيآل بصلاته، والملاك بقوته هزماه في النهاية: هذا الشيء نفسه كان الأساس لتدمير ملوك فارس .. لقد بقي جِبرائيل يبطل مقاصدهم ضد شعب الله."

أكَّد جِبرائيل أن رئيس اليونان سيأتي، (دا10: 20). وهذا يشير لملك اليونان البشري. في (دا11: 3) يُدعي جَبَّارًا، ونحن نعلم أن هذا الملك الجبار كان الأسكندر الأكبر. في (دا9: 26) يقول جِبرائيل لدانيآل، ".. وَشَعْبُ رَئِيسٍ آتٍ يُخْرِبُ الْمَدِينَةَ وَالْقُدْسَ .."، ونعلم أن هذه الشخصية كانت الحاكم البشري الروماني، الذي دمَّر مدينة أورشليم عام 70م. لو أن بلاد فارس كان يحكمها رئيس شيطاني، وليس الله، فلماذا أمر الملك كورش بإعادة بناء أورشليم. إن المفهوم القائل بأن الأمم لديها آلهة مختلفة، تصارع من أجل السيادة هو مفهوم وثني. لقد فكَّر كل القادة اليونانيين بهذه الطريقة. هذا الفكر يقود انتباه الناس إلي الأرواح الشريرة بدلاً من الانتباه لله. إن الفهم غير السليم لهذه النصوص يؤدي إلي مشاكل عديدة منها الآتي:

1. تجعلنا نركِّز علي الشيطان أكثر من الرب يسوع.
2. تجعلنا نري الشيطان كالشرير، وليس الإنسان بخطيئته الشخصية. لا فرق في الشر بين الشيطان، وقلب الإنسان الساقط. إن القضية هي خطيئة الإنسان الشخصية، ومسئوليته، وليس الشيطان. ولهذا السبب قد جاء الرب يسوع لينقض أعمال إبليس، أي جاء ليحررنا من ناموس الخطية، والموت، واللعنة التي نطق الله بها بسبب الخطية، (1يو3: 8).
3. تبني مدخل غير كتابي من جهة فترات الانتعاش الروحية التي نسميها النهضة، والصلاة أيضًا.

العهد الجديد:

كانت فترة ما بين العهدين نقطة البداية في استخدام مصطلح "رئيس" غالبًا للإشارة إلي القوى الروحية. وقد أشارت الأسفار الأبوكريفية لقوى روحية شريرة كثيرة. ألقي اليهود باللوم علي هذه الأرواح الشريرة من أجل السبي تحت سيادة الملوك الأرضيين المختلفين. إلا أنهم لم يكونوا علي صواب. لأن اليهود ذهبوا إلي السبي من قِبَل الله بسبب خطيئتهم، كما يؤكِّد العهد القديم بكل وضوح في (إش50: 1). وهذا المظهر شائع عن الطبيعة البشرية، التي تلقي باللوم علي الشيطان من أجل تبرير سلوك خاطئ. كما قال الفريسيون أن الرب يخرج الأرواح الشريرة من المعذبين بها برئيس الشياطين المسمَّى بعلزبول، (مت12: 24).

قال الرب عن الشيطان أنه رئيس هذا العالم، (يو12: 31). ويشير الرسول بولس في رسائله إلي الرياسات، والسلاطين، وقوات الظلمة، أجناد الشر الروحية. إلا أن جميعها كناية عن المقاومة الروحية، وليست وصفًا لترتيب هرمي لهذه الكائنات الروحية، (أف3: 10؛ 6: 12). هذه مجرد تشبيهات استعارية لأن الشيطان ليس له سيادة علي الإنسان. إن ما يحكم الإنسان ويسوده خطيئته الذاتية، أي ناموس الخطية، والموت. يمكن للشيطان أن يغوى الإنسان، لكن تبقى الخطية خطيئة الإنسان نفسه التي تأسره لرغباته. كما قال الرسول بولس أن هؤلاء الرؤساء ليسوا شيئًا، (1كو2: 6-9). بعض من هذه الشواهد والإشارات منسوبة للحكام البشريين، والبعض الآخر للقوى الروحية، (تي3: 1). لا يقدِّم العهد الجديد هذه القوى الروحية، أي الرياسات، علي أنها ملوك للأمم، أو كمعطِّلين بشكل فعَّال في خلاص النفوس. إن الله يسمح لهم بالخداع أو بالضلال للنفوس التي ليس لها قلب سليم مع الله، (2تس2: 11).

يُظهر العهد الجديد أن الله كلي السلطان، ويبين أن الإنجيل هو قوة الله، الذي لا يستطيع أي روح شرير أن يعوقه، (رو1: 16). كما يظهر العهد الجديد العدو كمقاوم للإنجيل، ولإيماننا. ويسمح الله بهذه المقاومة كي نتعلَّم الجندية، (أف6: 10؛ 2تي2: 3). الله لا يدعونا لمحاربة العدو، بل للإيمان ولطاعة الإنجيل. كما أن استعمال لفظة "جندي" مجاز يعبر عن الاستعداد، والثبات، (1كو15: 58). ولذا يشجعنا العهد الجديد لا لمحاربة الشيطان بل لمقاومته، (يع4: 7)، كما يشجعنا علي السهر، (1بط5: 8)، واليقظة، (مت26: 41)، والثبات في الإيمان، وفي شدة قوة الله، (أف6: 11)، وأن لا نعطي الشيطان

مكانًا، (أف4: 27)، وعلي المواظبة في الصلاة، (أف6: 18)، وأن نكون في كل حين متيقنين من أن انتصارنا هو في المسيح، (1كو15: 57).

إله هذا العالم:

"الَّذِينَ فِيهِمْ إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ"، (2كو4: 4).

عندما نقرأ هذا نفكر علي الفور في الشيء الواحد الذي يصيب قلوب الناس بالعمى من جهة الإنجيل أكثر من التفكير في أي شيء آخر. هذا الشيء الواحد هو الناموس. حارب الرسول بولس مصدر هذا العمى في كل واحدة من رسائله. خذ علي سبيل المثال (رو10: 1-4). كان اليهود علي جهل، عميان، من جهة عطية بر الله. لأنهم أرادوا أن يثبتوا بر أنفسهم من خلال أعمال الناموس. أصابهم الناموس بالعمى. كان الحجاب في خيمة الاجتماع يمنع رؤية الحضور الإلهي المجيد.

نحتاج أن نعود إلي (2كو4: 4) لننظر إلي السياق، أو القرينة. قارَن الرسول بولس خدمته بخدمة موسي النبي، الذي كان يضع برقعًا علي وجهه، لأن وجهه كان يلمع، وبنو إسرائيل يخافون منه، (2كو3: 13-18). لقد كانوا خائفين لأن الناموس كشف خطيتهم. لم يستطيعوا أن يفهموا قبول الله لهم في المسيح. قال الرسول بولس أنه حتى في أيامه لا زال البرقع يعمي قلوب الذين يسمعون الناموس. إن البرقع أصابهم بالعمى. قبل أن نعود بسرعة مرة أخرى للقرينة، سنتأمل أولاً ما قاله بعض المفسرين عن (2كو4: 4). نادي كل من ق. يوحنا ذهبي الفم، وق. أغسطينوس بأن إله هذا العالم يعني الله، God. نص الكتاب المقدس اليوناني لا يستخدم الحروف الكبيرة. وقاموا بذلك بسبب الآريوسيين في أيامهم، الذين قالوا لو كان هذا الإله إشارة للشيطان، بنفس الطريقة يكون يسوع إلهًا، a god، بحرف أول صغير تميُّزًا له عن لفظة الله التي تبدأ بالحرف الكبير. فعل الآباء ذلك ليدافعوا عن إلوهية المسيح، وقد تبني ق. ذهبي الفم هذا الموقف عن هذا النص، وموقفه معروف.

"فَمَاذَا؟ مَا يَطْلُبُهُ إِسْرَائِيلُ ذلِكَ لَمْ يَنَلْهُ. وَلكِنِ الْمُخْتَارُونَ نَالُوهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَتَقَسَّوْا، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ، أَعْطَاهُمُ اللهُ رُوحَ سُبَاتٍ، وَعُيُونًا حَتَّى لاَ يُبْصِرُوا، وَآذَانًا حَتَّى لاَ يَسْمَعُوا إِلَى هذَا الْيَوْمِ. وَدَاوُدُ يَقُولُ، لِتَصِرْ مَائِدَتُهُمْ فَخًّا وَقَنَصًا وَعَثْرَةً وَمُجَازَاةً لَهُمْ. لِتُظْلِمْ أَعْيُنُهُمْ كَيْ لاَ يُبْصِرُوا، وَلْتَحْنِ ظُهُورَهُمْ فِي كُلِّ حِينٍ"، (رو11: 7-10).

لفظة "إله" في هذا النص في اليونانية تعني ثيؤس، θεὸς، بالحرف الأول الكبير ثيتا. هذا الإله هو الذي يصيب بالعمى هنا. وإن كنا نختلف مع ق. يوحنا ذهبي الفم ونؤيد يوحنا كالفن، John Calvin، بأن لفظة إله في (2كو4: 4) تشير إلي الشيطان يجب أن نعترف بأنه أيًا يكن ما يفعله الشيطان، فإنما يفعله بسماح من الله وليس بأي قوة أو سيادة منه. عبارة "إله هذا العالم" أو إله هذا الدهر، من المحتمل أنها تشير إلي الدهر الحاضر الشرير، (غل1: 4). فهل هذا يعني أن هذا الإله هو الشيطان؟ يمكننا أن نرى الإنسان، والشيطان، والله عاملين معًا في شرح الرسول بولس لأهل تسالونيكي. يبدأ الوضع بالإنسان الذي لا يقبل محبة الحق. ثم يرسل الله للإنسان عمل الضلال، بتسليمه لشهواته، من خلال آيات الشيطان المخادعة القوية، كي ما يُدان، (2تس2: 9-12). الإنسان مسئول عن حالته، وليس الشيطان.

نعود الآن لسياق النص في الرسالة إلي الكورنثيين. ترى ما هي القضية التي يعالجها الرسول بولس؟ نحن سندرس هذا الموضوع مرات مختلفة عبر هذا الكتاب. بالإيجاز، كانت المشكلة هي الرسل الكذبة، والروحانية المزيفة في الكنيسة. لقد علم بعض هؤلاء الرسل الكذبة بأن الناموس يجعلنا أكثر روحانية، كما يمنحنا الحياة. والبعض الآخر علَّم عن ذلك بصيغة تشبه تعاليم الغنوسية، بمعني أن الناموس يمنح روحانية خاصة تمنحنا في المقابل معرفة خاصة، (غِنوسِس، gnosis)، ترفعنا لمستوى أعلى في الخلاص.

هذا هو الموضوع الذي يتناوله الرسول بولس بالمعالجة في (2كو3-4). يعترض الرسول بولس علي ذلك بقوله لهم أن الناموس يقود إلي الموت، بينما تقود النعمة إلي التحرير، أي الحياة والحرية من الخطية. لقد لجأوا إلي الناموس من أجل

الروحانية فأصابهم بالعمى والموت بسبب ضعف وخطية الإنسان. إن الناموس هو الذي أصاب الكورنثيين بالعمى، لئلا يبصروا قبول الله لهم في المسيح. وهكذا هل يقول الرسول بولس بأن الناموس هو إله هذا العالم؟

الآن لدينا نظرة أخرى لتعبير "إله هذا العالم". ما هو إله هذا العالم؟ هو من يعبده العالم. هو من يجعله العالم إلهًا. فمن هو إله العالم؟ إن نظرنا لمذهب حيوية المادة، Animism، المعروف باسم الإرواحية، أو السحر، نقول إنه الشيطان. إن العالم الذي لا يؤمن بالإنجيل يعبد الشيطان. هل العبادة البشرية بهذه البساطة؟ نحن نتحدث هنا بكل يقين عن الوثنية. تمثل الكلمات، "لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي" الوصية الأولي. إن الوثنية هي الإطار الخاطئ لقلب الجنس البشري الساقط. لكن ما هي الصورة الرئيسية للوثنية؟ أنها تستخدم الصور أو التماثيل وتنحني أمامها، قائلة، "أنت إلهي". وهذه الصور أو التماثيل تشبع بكيفية ما الأنا العليا، Ego، في الإنسان. إنها تساند تمرد الأنا. وهكذا لم يكن الإنسان الوثني في أرض كنعان وفيًا لإلهه، لكنه سعي لما يمكنه الحصول عليه من هذا الإله لخدمة أهدافه الخاصة. لا توجد عبادة حقيقية للإله الوثني. إن ما يُعبَد هو الذات. إن الولاء متاح حيث توجد الذات. وهكذا فإن أوثان اليوم الرئيسية هي السيارات الرياضية، والبيوت الفارهة. هذه الآلهة تعزز صورة الإله الحقيقي، أي ذات الإنسان نفسه!

قال الرب أننا لا نقدر أن نخدم الله والمال. إن كلمة "خدمة" تعني العبادة. عندما نخدم المال نعبده لما يمكن أن يفعله من أجلنا. وهكذا يمكن أن يُسمَّى المال إله هذا العالم. عندما ينظر الناس لبورصة نيويورك للصرافة يقولون إن الدولار هو إله هذا العالم. أليس هذا هو السبب الذي من أجله يضعون عبارة "نحن نثق في الله، In God we trust" علي عملة الدولار الورقية من الخلف، ليذكِّروا الناس بهذه الحقيقة؟ وهي أن الله يساعد الشعب الذي ينسي، (تث8: 18). إن إله هذا العالم هو الذات. لأن هدفها النهائي أن تكون إلهًا. إله هذا العالم يقول لله، لا لتكن مشيئتك بل مشيئتي". الذات هي التي تنبع منها الحروب، (يع4: 1). الذات هي الروح التي تعمل في أبناء المعصية، (أف2: 2). روح هذا العالم هو، "أنا أحيا بطريقتي. أنا الرئيس، أنا أسود." في قصة برج بابل شيدوا بناءًا ليصنعوا لأنفسهم اسمًا، (تك11: 4). لقد كان معبدًا لعبادة الذات.

إن الشيطان يعلم ذلك، ويغذيه بالأكاذيب. يتلاعب بالطبيعة البشرية التي يعرفها لدي الإنسان. لقد أغوى حواء بجعلها إلهًا في عين نفسها. لقد حاول إغراء الرب يسوع بإظهار السلطان الذي من الممكن أن يحصل عليه. ويحاول أن يجعل من المسيحية الشيء الذي يمكِّننا من الحصول علي كل ما نريده. ولذا نسأل لماذا نوجد نحن في الكنيسة؟ هل بسبب الولاء للمسيح، أم لأن لدينا خطط أخري خاصة بنا؟ يتودد الشيطان للإنسان وذلك بجعله المركز. إنه يعرف اللحن الذي يفضل الإنسان سماعه، وبهذا المعني هو رئيس هذا العالم. يعزف اللحن الذي يفضله الإنسان ليقاوم مشيئة الله. نري مثل هذا في الحملات الانتخابية. يقول أحدهم، "هذه هي المبادئ التي على أساسها أخوض الانتخابات"، بينما يقول مرشح آخر "هذا ما سوف تحصل عليه."

هذا العمى، والجهل لا يُفرضا علي الإنسان رغمًا عنه بواسطة الشيطان. إنهما ينبعان من داخل الإنسان. يقول الكتاب، "إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ"، (أف4: 18). هذا ما يقوله الرسول بولس في (2كو4: 4)، لكن في الرسالة لأفسس يقول أن العمى بسبب طبيعة الإنسان. إن طبيعة الإنسان أصابته بالعمى. لم يستطع اليهود فهم أمثال الرب يسوع، ليس لأن الأمثال كانت مشفَّرة، لكن بسبب الخطية، ".. اذْهَبْ وَقُلْ لِهذَا الشَّعْبِ، اسْمَعُوا سَمْعًا وَلاَ تَفْهَمُوا، وَأَبْصِرُوا إِبْصَارًا وَلاَ تَعْرِفُوا. غَلِّظْ قَلْبَ هذَا الشَّعْبِ وَثَقِّلْ أُذُنَيْهِ وَاطْمُسْ عَيْنَيْهِ، لِئَلاَّ يُبْصِرَ بِعَيْنَيْهِ وَيَسْمَعَ بِأُذُنَيْهِ وَيَفْهَمَ بِقَلْبِهِ، وَيَرْجعَ فَيُشْفَى"، (إش6: 9-10).

وهكذا إن كان يشير تعبير، "إله هذا الدهر" إلي الشيطان، فإنه لا يشير إلي أي سلطان لديه. يؤكِّد لنا (كو1: 13) أن الله نقلنا من سلطان الظلمة. البعض يقول أن الظلمة سيادة، والسيادة لها صاحب. هذه ليست سيادة حكومية، لكن عبودية أو أسر. لقد أُسِر الإنسان لكن ليس من الشيطان بل من طبيعته الخاطئة. يرينا الرسول بولس من هو الذي يسود في (رو5). "..

بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ .."، (رو5: 17). الموت يسود من داخل الطبيعة البشرية. طبيعة خطية الإنسان تسوده. ".. مَلَكَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْمَوْتِ .."، (رو5: 21). الخطية، بالطبيعة، تملك كمَلك، وتأتي بالإنسان إلي الأسر.

إله الإنسان هو الذات. ولهذا نجد أن الخلاص، والتقديس بالنعمة وحدها. في المسيح يبيد الله الذات بعدم السماح لها بالقيام بأي دور في خلاصنا، وإلا كانت هناك فرصة للافتخار. تتعامل النعمة مع الذات بضربة مميتة. كما يقول الكتاب أننا يجب أن ننكر ذواتنا. وتحقق النعمة ذلك في حياتنا من خلال الرب يسوع. يقول الكتاب، ".. فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا نِعْمَةُ اللهِ، وَالْعَطِيَّةُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي بِالإِنْسَانِ الْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، قَدِ ازْدَادَتْ لِلْكَثِيرِينَ!"، (رو5: 15). ".. هكَذَا تَمْلِكُ النِّعْمَةُ بِالْبِرِّ، لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا"، (رو5: 21). كما ملكت الخطية ولم يكن لديَّ خيار آخر، الآن تملك النعمة من خلال ثمر عمل الرب يسوع، كما أن لها الكلمة الأخيرة فيَّ! هذا هو الإنجيل الرائع. إنها هبة مطلقة. لا يمكن أن تكون شيء آخر غير ذلك.

ما الذي يقوله الرسول بولس للكنيسة في الرسالة إلي للكورنثيين؟ يقول أنه يوجد حجاب أو برقع علي قلب الإنسان بسبب الخطية. لو إنه يسعى لطلب الخلاص من خلال الناموس، سيجني الموت. لكن إن قَبِلَ نعمة الله في المسيح يسوع، فإن روح الحق سيحرره من الخطية كهبة. لم يناقش الرسول بولس أي شيء من الحرب الروحية. إنه يتكلم عن حالة قلب الإنسان، وعلاجها، إنه يتحدث عن نعمة يسوع المسيح. من السياق، يقول الرسول بولس للغنوسيين في كورنثوس، "أنتم تقولون أن الناموس يمنحكم معرفة خاصة، بدلاً من أنه يشبه البرقع لكم. لقد انخدعتم بهذه المعرفة." هذا المقطع هو تصحيح مباشر لمشكلة الكورنثيين. مثل أي حديث تسمعونه، علي الدوام تسمع جزء من السياق الكلي للمناقشة. هل الشيطان وراء هذا الخداع؟ نعم. لكن الأمر هو تغيير القلب من خلال المسيح الذي يحل المشكلة. يجلب الناموس عمى للإنسان بسبب طبيعته. قلب الإنسان هو في البر الذاتي. إن الناموس قوة وثنية في حياته، ويمكن أن يُدعي أيضًا إله هذا العالم. إن الكرازة بنعمة المسيح تزيل هذا العمى. إن علم النفس الذي يركز على الذات في حالة تنافر مع الإنجيل. الكرازة بتأسيس دولة إسرائيل هي بمثابة إعادة نسج للبرقع، بأن يحل إسرائيل محل المسيح، كأننا نعيد ما سبق وأن دمره المسيح، (غل2: 18؛ أف2: 15).

الفكر اللاهوتي عن الشيطان:

لا يوجد أي تعليم لاهوتي عن الأرواح الشريرة التي تسيطر علي الحدود الجغرافية في العهد القديم. ما يؤكِّد عليه الكتاب هو أن الشيطان يقاوم عمل الله، ولا يمكنه في أي وقت القيام بما هو أبعد من ذلك إلا بسماح من الله. يجب علينا أن نصلي إلي الله، ونستمر في فعل مشيئته. لأن قصد الله يتعظَّم. كما لا يأمرنا الكتاب المقدس بأن نصلي ضد الأرواح الشريرة، إلا في حالة إخراج روح شرير من خلال موهبة الإيمان. عل أي حال، يوجد القليل من الفكر اللاهوتي في العهد القديم عن الشيطان. يرينا الكتاب أن الشيطان هو:

1. أحد خلائق الله، ومن ثم يخضع لسيادة الله. إن نص (إش54: 16)، ".. وَأَنَا خَلَقْتُ الْمُهْلِكَ لِيَخْرِبَ." لا يشير إلي الشيطان لكنه يشير إلي أعداء إسرائيل، ولكن المبدأ واحد. الله الخالق هو خالق الكل، والكل يخضع له، (عب1: 3؛ كو1: 16).
2. الإنسان هو المسئول عن خطيته، وتمرده وليس الشيطان، (يع1: 13-14).

الله بار أخلاقيًا، وليس فيه ظلمة البتة، ولا يعتريه ظل دوران، (1يو1: 5). حاول الكثيرون دراسة موضوع الشر. قال يعقوب أن الله لا يمكن أن يجرَّب بالشرور، أو أن يجرِّب أو يغوى أي إنسان، (يع1: 13-14). إن الله امتحن إيمان إبراهيم لكن لم يغره علي العصيان، (تك22: 1). إن سفر أيوب يمثِّل أفضل بيان يوضح سبب الشر، حيث يعلن بشكل أساسي عن أمرين: أولهما أنه لا يجب أن تُجاوب الله من جهة أمور لا تفهمها، وثانيهما أن الله يفعل علي الدوام ما هو صواب. إلا انه في سيادته سمح للشيطان بان يسقط. وهو يستخدم الشيطان ليحقق مقاصده، كما قال في سفر إشعياء، "مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ، صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هذِهِ"، (إش45: 7). وهذا النص يشير إلي الشعوب المعادية التي

عاقب بها الله شعوب أخرى كدينونة. وفي كل هذا يكون الله غير مسئول أبدًا عن الشر. الله ليس أصل الخطية، ولكنه المسئول عن الدينونة في وقته وبطريقته.

الإنسان:

من أحد أهداف التربية اليونانية القديمة هو أن تعرف نفسك. وقد أصبح هذا الهدف مركزيًا في أوروبا، ويُعرَف باسم الفلسفة الإنسانية. أما هدف التربية في الفكر العبري هو أن تعرف الرب إلهك، حيث أن الله ومجده هو ما يجب أن يكون في المركز. إن المفتاح لمعرفة أنفسنا هو أن نرى نفوسنا كما يراها الله. لقد رجع الابن الضال إلي نفسه، إذ قد أدرك الحق من جهة نفسه. إن الحق المرتبط بنفوسنا موجود فقط في كلمة الله. وليس للإنسان أي رجاء في التغيير أو الخلاص، إلا عندما يأخذ الروح القدس فقط كلمة الله ويظهر للإنسان حقيقته. إن المفتاح لمعرفة أنفسنا لا يوجد في العلوم النفسية أو في علم الأنثروبولوچي، لكن موجود في علم اللاهوت، أي من خلال كلمة الله. عندما أخطأ آدم أصبحت نفسه هي إلهه. إن إنسان اليوم متمركز حول ذاته. ويجب علينا عندما نعظ أن لا نتكلم عن تحسين النفس، لأن هذا يستهوى طبيعة الإنسان الخاطئة. إن الواجب هو مواجهة التمركز حول الذات.

يجب أن نعظ بالموت، والحياة الجديدة من خلال المسيح. إن الرب يسوع لم يأتي ليحسن حياتنا. لكنه أتي ليستبدل حياتنا بحياته. قال الرب، "فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا"، (مت16: 25). كما أكد الرسول بولس نفس الشيء بقوله، "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ .."، (غل2: 20). إن تحسين النفس لا يفيد شيئًا. كما أنه لن يجد شيئًا في تحسين علاقاتنا الزواجية، ولن يجعل منا أشخاصًا أفضل، ولن يوصلنا للسماء. إن تحسين النفس ليس هو الأمر الذي نحتاجه. لو كان هو حاجتنا لأصبح موت المسيح من أجلنا عبثًا. إن تحسين ذواتنا يقوِّض أحد الأسس الهامة جدًا في الكتاب المقدس، وفي رسالة الإنجيل، إنه يهدم فكرة الفساد الكلي للإنسان.

آدم:

صُنِع الإنسان من تراب. إن كلمة آدم تعني ترابًا. لقد نفخ الله في هذا التراب، فصار آدم نفسًا حية، والتشديد في هذه الآية يعنى أنه صار كائنًا حيًا، (تك2: 7). ويعلِّق چون جيل، John Gill، علي هذا بقوله، "إن الإنسان ليس قادرًا فقط علي القيام بوظائف الحياة الحيوانية من طعام، وشراب، وحركة، بل قادرًا أيضًا علي التفكير، والتعليل، والحوار كمخلوق عاقل[7]." كان آدم ترابيًا. لم يكن في المسيح. كانت له شركة مع الله فقط عندما صار نفسًا حية، إلا أنه لم يكن سماويًا. ولم يكن ميتًا روحيًا، بل كما عبَّر عن ذلك يوحنا كالڤن بالقول، "قبل سقوط آدم، كانت حياة الإنسان فقط أرضية، وليس لها دوام ثابت مستقر[8]." وقد شرح الرسول بولس نفس الأمر بقوله، ".. صَارَ آدَمُ، الإِنْسَانُ الأَوَّلُ، نَفْسًا حَيَّةً، وَآدَمُ الأَخِيرُ رُوحًا مُحْيِيًا"، (1كو15: 45). أما نحن الذين صرنا الآن في المسيح أصبحنا سماويين، (في3: 20-21).

الفساد الكلي:

بدون فهم عقيدة الفساد الكلي الراسخة بقوة لا يمكن أن يكون هناك فهم للإنجيل الحقيقي. إن سقوط الإنسان كان سقوطًا كاملاً. والنفس هي النقطة المركزية بشكل كلي، ولذا لا يوجد صلاح أو بر في الإنسان علي الإطلاق. وربما ينادي البعض بالقول، أن الإنسان جيد في الأساس، رغم أنه لديه مشاكل، وخصائص شريرة، إلا أن هذا الزعم ليس هو شهادة الكتاب عن الإنسان. لقد قال الرسول بولس:

> **"وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ، الَّذِينَ نَحْنُ أَيْضًا جَمِيعًا تَصَرَّفْنَا قَبْلاً بَيْنَهُمْ فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ الْجَسَدِ وَالأَفْكَارِ، وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ كَالْبَاقِينَ أَيْضًا"، (أف2: 1-3).**

---

[7] Gill's Commentary on Genesis.
[8] Calvin, Commentary on Jonah.

يتحدث هذا النص عن طبيعة جميع الناس. إن المشكلة مع الخطية ليست هي أننا ارتكبنا الخطية، لكن هي أن أي شخص لم يولد ثانية هو بالطبيعة خاطئ. المشكلة هي الطبيعة، وليس أية مشكلة بعينها، أو فعل من أفعال الخطية. جميع الناس مولودين خطاة بالطبيعة. هم خطاة ليس لأنهم أخطأوا، لكنهم يخطئون لأن هذه هي طبيعتهم. إن خطاياهم تبدأ بطبيعتهم. لا يوجد أي صلاح في الإنسان، قال الرب، ".. لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ"، (لو18: 19). حتي الصلاح الذي يمارسه الإنسان ليس صالحًا. يوجد شائبة ما في الدافع تجعل عملنا يهدف لخدمة الذات. يقول النبي إشعياء، ".. وَكَثَوْبِ عِدَّةٍ كُلُّ أَعْمَالِ بِرِّنَا، وَقَدْ ذَبُلْنَا كَوَرَقَةٍ ..."، (إش64: 6). أما نبي الرب إرميا فإنه يؤكِّد، "اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ، مَنْ يَعْرِفُهُ؟"، (إر17: 9). وهكذا، حتى عندما يظن الإنسان أنه يفعل الصالح لا يعرف دافعه. لا يمكنه أن يعرف قلبه، ولا يقدر أن يكون قاضيًا لنفسه. قلب الإنسان أخدع من كل شيء، حتى الشيطان نفسه لا يعرف ما بداخل قلب الإنسان. يصطدم الناس بهذا الحق. لأنهم يحبون أن يلقوا باللوم علي الشيطان من جهة خطاياهم، لكن الخطية تنبع من طبيعتهم الخاصة.

كما لا يحتاج الناس لمعونة الشيطان حتي يخطئوا. إنهم يخطئون بسبب أن طبيعتهم خاطئة. يمكن للإنسان أن يخترع شرورًا من طبيعته قد تثير تعجب الشيطان ذاته. لا يوجد فرق بين الإنسان الساقط والشيطان بالطبيعة. ويتملق الإنسان نفسه علي الدوام، لأنه لا يريد أن يتعرف علي الحق المرتبط بنفسه. إن هذا لا يعني أننا نتبنى اتجاهًا قاسيًا تجاه البشر. ولا يعنى أننا أقل رأفة علي الإنسان، أو نقلل من شأن الصلاح الذي من الممكن أن يفعله الله من خلال الإنسان، حتي عندما لا يعرفه الإنسان. لكن فقط يعنى أننا ندرك الحق من جهة الجنس البشري. كما أن هذا لا يعنى أيضًا أننا لو ولدنا ثانية من الروح لن يمكننا أن نخطئ. لكن يعنى أنه مع المسيح، وبدون الاتكال علي مواردنا، يمكن أن نحيا بالنعمة أحرار من الخطية. يعنى الأمر أننا في المسيح لا يمكننا أن نستمر في أسلوب الحياة بالخطية.

الطبيعة البشرية:

يدافع الناس بقوة شديدة عن صلاح الإنسان. البعض ينادي بأن كل البشر هم أولاد الله. إن البشر الطبيعيين ليسوا أولاد الله، لكنهم أبناء الغضب، والعصيان. لكن الناس المولودين ثانية من الله فقط هم أبناء الله، الذين قبلوا الطبيعة الجديدة كهبة. قد يقول الناس أن المجتمع يظهر صلاح الإنسان، حتي بدون المسيح. يمكن للناس أن يحيوا في المجتمع بانسجام لأسباب كثيرة، لكن صلاح الإنسان ليس أحد هذه الأسباب. البشر يعيشون في انسجام بسبب:

1. تقييد الناموس.
2. تقييد ناشئ عن عمل الروح القدس.
3. تقييد ناشئ عن عمل النعمة العامة.
4. تقييد الله للإنسان لكي يتمم مقاصده علي الأرض.
5. مصالحهم في أن يقوموا بذلك.

النعمة العامة:

في اللحظة التي يرفع فيها الله نعمته العامة المقيدة، يرتد الإنسان للطبيعة. وهكذا إن وجِد أي صلاح، أو أي قانون، أو نظام، أو أي خيرات اجتماعية، أو اختراعات مفيدة تعين الإنسان، أو أي وعي في الحكومة البشرية، كل هذا للأسباب الآتية:

1. الإنسان يحب التمسك بالنظام، حتي يتمم رغباته الأنانية، ويحقق عمله، ليزدهر ويحيا في السلام.
2. المجتمع، بما فيه من البشر غير المجدَّدين، يتباركون من خلال الكنيسة فيه.
3. دبر الله النعمة العامة لكي ينجز بعض المقاصد في فكره دون ارتباط بأي صلاح في البشر بالمجتمع.

النعمة العامة يمكن تعريفها علي أنها تلك البركات التي يمنحها الله عمومًا للمجتمع والتي لا ترتبط بالخلاص، أو بالنعمة المخلِّصة. ومن أمثلة النعمة العامة، الحكومة العادلة، المطر، الاختراعات التي تحسِّن حياة البشر، السلام، والمهارات. يمكن للبشر أن يكونوا طيارين ليحلقوا بالطائرات، أطباء أسنان ليعالجوا، أو يمكنهم أداء مهارات مختلفة يستفيد منها جميع البشر.

بصفة عامة، دبَّر الله في صلاحه هذه البركات، حتى يستفيد وينفق كل البشر منها، حتى إن كانوا لا يعرفون الله أو يشكروه. المسيحي لا يحتاج لطيار مؤمن ليقود له الطائرة، لكن يحتاج لشخص لديه المهارة التي منحه الله نعمة عامة.

رفع القيد:

عندما نري المذابح، أو أعمال الإبادة العرقية في البوسنة، أو في السودان، نحن لا نرى عمل الشيطان، أو دينونة الله، لكننا نرى الطبيعة البشرية وقد رُفِعت منها القوة المقيدة للنعمة العامة. أحياناً يسمح الله ببساطة للناس أن يسلكوا طبيعتهم البشرية بدون قيود. عندما نرى الأمور غير الأخلاقية المنتشرة في شعوبنا من خلال التلفاز، فإننا نرى دينونة الله تتخذ شكلاً متمثلاً في رفع قوته الكابحة علي مجتمعاتنا مسلِّمًا إياهم لطبيعتهم. وعادة ما يمنح الله المجتمعات ما لا يستحقونه لأنه إله صالح. الإنسان لا يدرك ذلك مطلقًا، لكنه يهنئ نفسه فقط.

صورة الله:

خُلِق آدم علي صورة الله. وهذا لا يعنى أن الله سكن في آدم، كما يسكن المسيح فينا. خُلِق آدم بوعي ذاتي، وضمير، وهكذا لا يحيا الإنسان غالبًا بغريزة طبيعية، كما تحيا الحيوانات، لكنه كان علي دراية ببيئته، وقادر علي إصدار أحكام بحسب مشيئة الله. لكن في السقوط فقد آدم براءته، وهكذا بعد السقوط، ليس من الصواب أن نقول أن الإنسان لا يزال علي صورة الله. منذ خطية آدم، فإن كل إنسان يولد علي صورة آدم. لم يعد الجنس البشري علي صورة الله بعد السقوط. بعد الطوفان، أمر الله نوحًا بأن "سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ. لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ"، (تك9: 6). وهذا يشير إلي الخليقة الأصلية، ولا يشير لحالة الإنسان بعد السقوط. إن ما قصدته هذه الوصية هو أن الإنسان يجب أن يدرك الفرق بين حياة الجنس البشري، وحياة الجنس الحيواني. شهد الله بعد السقوط عن الإنسان كالتالي:

"وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ"، (تك6: 5).

"فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ .. لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ"، (تك8: 21)

قال الرسول يوحنا عن الرب يسوع:

"لكِنَّ يَسُوعَ لَمْ يَأْتَمِنْهُمْ عَلَى نَفْسِهِ، لأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الْجَمِيعَ. وَلأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجًا أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ عَنِ الإِنْسَانِ، لأَنَّهُ عَلِمَ مَا كَانَ فِي الإِنْسَانِ"، (يو2: 24-25).

قال الرب عن الفريسيين:

"أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَق. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ"، (يو8: 44).

لم يقصد الرب بهذا قلة من الفريسيين فقط، بل أي إنسان غير مولود من الله. هم ليسوا علي صورة الله، لكن علي صورة الشيطان. هذا هو الحق عن الإنسان. وهذا لا يعني أننا بلا رجاء. ولكن يعنى أن رجائنا ليس في ذواتنا. وقد نادى البعض بأن الإنسان بعد السقوط لا يزال في صورة الله، علي الأقل جزئيًا، وأن السقوط شوه، أو أفسد هذه الصورة. كما قالوا أن هذا مؤكَّد بدليل الأعمال الصالحة التي يفعلها الإنسان، ومن خلال قضائه بالعدل، ومن خلال ضميره، ومن خلال أعمال الخير التي يقوم بها، ومن خلال تقديره للفنون، ومن خلال قدراته الخلاقة. ولكن الحق هو أنه إن كان يوجد أي صلاح في الإنسان فهو نتيجة لنعمة الله، ولأن الله لم يسلم الإنسان لفساده. وليس نتيجة لأي صلاح في الإنسان. أي شيء يملكه الإنسان، سواء الخلاص، أو النعمِ العامة التي تعم حياته، ومجتمعه، هي عطية مجانية من الله. ولا شيء منها نتيجة لصلاح فطري أو غزيري لدى الإنسان. قال الرسول بولس، ".. وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟ .."، (1كو4: 7).

الملك داود مولود في الخطية:

عندما أخطأ مع بثشبع، وقتل زوجها أوريا الحثي، كان مُجبرًا علي فهم بعض الأمور عن نفسه، وعن الخطية. إن العلم المعنى بدراسة الخطية، يُدعى آرماتيولوجي، Harmartiology، نسبة لكلمة الخطية في اللغة اليونانية، والتي تعني عبريًا يخطيء الهدف. يخبرنا الكتاب المقدس بأن، ".. الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ"، (رو3: 23).

"اغْسِلْنِي كَثِيرًا مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي. لأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيَّ، وَخَطِيَّتِي أَمَامِي دَائِمًا. إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ .. هأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي، هَا قَدْ سُرِرْتَ بِالْحَقِّ فِي الْبَاطِنِ، فَفِي السَّرِيرَةِ تُعَرِّفُنِي حِكْمَةً. طَهِّرْنِي بِالزُّوفَا فَأَطْهُرَ. اغْسِلْنِي فَأَبْيَضَّ أَكْثَرَ مِنَ الثَّلْجِ. أَسْمِعْنِي سُرُورًا وَفَرَحًا، فَتَبْتَهِجَ عِظَامٌ سَحَقْتَهَا. اسْتُرْ وَجْهَكَ عَنْ خَطَايَايَ، وَامْحُ كُلَّ آثَامِي. قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اَللهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي"، (مز51: 2-10).

لاحَظ الملك داود في (مز51) أنه أخطأ. ولم يلق باللوم علي بثشبع، أو علي أي شخص آخر، ولا علي الشيطان. لقد قال له النبي ناثان، ".. أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ .."، (2صم12: 7). ولم يكن الأمر بسبب أحواله. ولم يكن خطأ زوجته، أو أعدائه، بل كان خطأه هو. ولم يكن الأمر بسبب أنه أُغوى بل كان الأمر خطأه. كما أدرك الملك داود أن خطيئته كانت في المقام الأول ضد الله، أي ضد الناموس الإلهي البار، وليس ضد عُرف اجتماعي بشري. لم يرتكب ظلمًا فقط في عيون الناس، لكن في عين الله. لقد أدرك أن الله شخص. أيضًا رأى الملك داود ما هو أكثر من ذلك. لقد رأى أنه أخطأ لأنه كان خاطئًا بالطبيعة. لم ير فقط خطيئته، بل أدرك السبب الذي من أجله ارتكب هذا الخطأ. لقد فهم أن خطأه هو المظهر الخارجي لحقيقة طبيعته.

لقد استوعب داود أنه مولود بالخطية. لقد فهم أن طبيعته هي المشكلة، وأنه لا التدريب، ولا التهذيب، ولا برامج تحسين النفس يمكنها أن تفيده. لقد كان علي وعي بالنقطة الهامة التي يحتاج أن يركز عليها، وهي أن الله وحده هو الذي يستطيع أن يعينه. لم يقل فقط أنه ارتكب أمرًا خاطئًا وبإمكانه أن يصلحه. لقد ذهب إلي ما هو أبعد من ذلك، إذ أدرك الاحتياج الحقيقي، بقوله، "هأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي"، (مز51: 5)، لقد فهم جيدًا طبيعته الخاطئة. لقد شعر باحتياجه لله كي يطهره، ويخلق في داخله قلبًا جديدًا. لقد ميَّز المظهر الأكثر خطورة، وهي أنه عاجز عن معونة نفسه. هذا الأمر هو عين ما تعنيه عبارة، "فرجع إلي نفسه" التي قيلت عن الابن الضال. إنها تعنى إدراك حالتنا الحقيقية. إن الملك داود لم يستطع أن يعين حتي نفسه. الله فقط هو الذي يجب أن يغير قلبه، ويجدد روحه. كان لابد من أن تحدث له معجزة كي يتغير.

الجنس البشري ككل:

في (رو5) يرينا الرسول بولس أن كل من خطية آدم، والموت قد اجتازا لكل الجنس البشري. وكل البشر من كل عرق، وجنس علي الأرض هم منحدرون من آدم، ولم، ولن يولد أي منهم دون وراثة لخطية آدم، أو حالة الموت الروحي له، أي الانفصال عن حياة الله. ويمثِّل آدم الرأس الفيدرالي للجنس البشري، أي الممثل الذي يجمع في ذاته كل البشرية، فعندما أخطأ، أخطأ فيه جميع البشر. لأن جميع البشر كانوا في صلبه كنسله عندما أخطأ. لقد أخطأ كممثل لجنس بشري. كما يقول كاتب العبرانيين أن لاوي قد دفع العشور لملكي صادق الكاهن إذ كان بعد في صلب أبيه إبراهيم، (عب7: 9-10). ومن أجل ذلك يولد الجميع خطاة من آدم. يقول الكتاب، ".. فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ .."، (1كو15: 22).

يصف الرسول بولس بالتفصيل طبيعة كل الجنس البشري في الأصحاحات (رو1- رو3)، وذلك لكي يضع الأساس الذي يبني عليه حق الإنجيل. إن كان الرسول بولس يعظ الإنجيل من البداية بهذه الحقيقة، هكذا يجب أن نعظ نحن أيضًا. نحتاج أن نقتبس قول الرسول بولس هنا بشكل مطول. إن الاقتباس التالي يصف طبيعة كل إنسان مولود من آدم، إنه يعبِّر عن حقيقة الجنس البشري:

"لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ. إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ، لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ. لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ

حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ، وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ. لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ، لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِمِ. الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ. ذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ، لأَنَّ إِنَاثَهُمُ اسْتَبْدَلْنَ الاسْتِعْمَالَ الطَّبِيعِيَّ بِالَّذِي عَلَى خِلاَفِ الطَّبِيعَةِ، وَكَذلِكَ الذُّكُورُ أَيْضًا تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الأُنْثَى الطَّبِيعِيَّ، اشْتَعَلُوا بِشَهْوَتِهِمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، فَاعِلِينَ الْفَحْشَاءَ ذُكُورًا بِذُكُورٍ، وَنَائِلِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءَ ضَلاَلِهِمِ الْمُحِقَّ. وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ، أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ. مَمْلُوئِينَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَزِنًا وَشَرّ وَطَمَعٍ وَخُبْثٍ، مَشْحُونِينَ حَسَدًا وَقَتْلاً وَخِصَامًا وَمَكْرًا وَسُوءًا، نَمَّامِينَ مُفْتَرِينَ، مُبْغِضِينَ للهِ، ثَالِبِينَ مُتَعَظِّمِينَ مُدَّعِينَ، مُبْتَدِعِينَ شُرُورًا، غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْوَالِدَيْنِ، بِلاَ فَهْمٍ وَلاَ عَهْدٍ وَلاَ حُنُوٍّ وَلاَ رِضىً وَلاَ رَحْمَةٍ. الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا حُكْمَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ، لاَ يَفْعَلُونَهَا فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يُسَرُّونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ"، (رو1: 18-31). "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ، أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ. حَنْجَرَتُهُمْ قَبْرٌ مَفْتُوحٌ. بِأَلْسِنَتِهِمْ قَدْ مَكَرُوا. سِمُّ الأَصْلاَلِ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ. وَفَمُهُمْ مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَمَرَارَةً. أَرْجُلُهُمْ سَرِيعَةٌ إِلَى سَفْكِ الدَّمِ. فِي طُرُقِهِمِ اغْتِصَابٌ وَسُحْقٌ. وَطَرِيقُ السَّلاَمِ لَمْ يَعْرِفُوهُ. لَيْسَ خَوْفُ اللهِ قُدَّامَ عُيُونِهِمْ"، (رو3: 10-18).

لا تتحدث هذه النصوص فقط عن الناس الأشرار. إنها تتكلم عن البشرية أي عنا جميعًا، إذ أن غضب الله معلن علي جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، وليس علي بعض من الناس. هذه النصوص الكتابية تقدم لنا السياق الذي يعمل فيه كل من علمي الأنثروبولوچي، واللاهوت، فيما يختص بالإنسان، والخلاص. كما يجب أن يبدأ كل من اللاهوت العملي في الأعمال المرسلية، والكرازة، والتربية، بهذا الحق الذي تعلنه هذه النصوص.

عاجز عن معونة نفسه:

إن كان فساد الإنسان الساقط هو فساد كلي بالحق، فإن هذا يعنى أننا لا يمكن أن نفعل شيئًا به نخلِّص أنفسنا. كما يعني أننا لا يمكننا الاقتراب من الله، وأننا غير واعين بحالتنا الروحية، كوننا أموات بالذنوب، والخطايا، حتي أننا لسنا مدركين لخطيئتنا. في الحقيقة نحن ننكر أننا خطاة، وبدلاً من أن نعترف نتهم الله. إن فساد الإنسان يعنى أنه ميت روحيًا، وأنه لا يدرك موقفه أمام الله، ولا يفهم كيف يقوم بإصلاح هذا الفساد. لا يمكن أن يكون لديه إيمان بالله، لأن الإيمان هو صفة وقوة روحية لا يمتلكها الإنسان. إن الإنسان في حالة عداوة مع الله، كما يقول الكتاب المقدس عن فكر الإنسان أنه عداوة لله، (رو8: 7). إن الإنسان الطبيعي، برغم أنه متدين، يبغض الله، ويحيا في التمرد. هو إنسان لا أخلاقي، غير مولود من الله، ميت بالروح، لا يمكنه أن يفعل شيء حيال ذلك، بل أنه أعمي تمامًا من جهة حالته، وبلا رجاء مطلقًا، وكما قال الرسول بولس يصف البشرية:

"أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ، وَبِلاَ إِلهٍ فِي الْعَالَمِ"، (أف2: 12).
"إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ. اَلَّذِينَ إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا الْحِسَّ أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَارَةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ"، (أف4: 18، 19).

إن البشر الطبيعيين المولودين من آدم غير قادرين علي الاقتراب من الله. لا يمكن أن يكون لديهم الإيمان لأن قلبهم في حالة سقوط. قلبهم ممتلئ من حب الذات، والبغضة، والخوف، وعدم الإيمان. ليس لديهم إيمان بالله، ولا يمكن أن يكون لديهم، بسبب أن قلبهم في حالة موت. هذا الحق كان يمثِّل الإيمان المسيحي القويم عبر القرون، أي الحق الخاص بعجز الإنسان الكلي فيما يتعلق بالبر، والإيمان، والمحبة، وحفظ وصايا الله. لاحظ أيضًا في نص الرسالة لرومية أن السبب الوحيد لعدم انهيار المجتمع هو أن الله لم يسلِم الإنسان بالكامل لما يستحقه، أي إلي طبيعته الحقيقية، (رو1: 24-26).

حرية الإرادة:

هل الجنس البشري لديه حرية إرادة. أولاً، لم يقرر الله الاختيارات التي نقوم بها. إنه يأمر كل إنسان أن يتوب، ويؤمن بالإنجيل، إذ أن هذا مطلب الله العادل من جميع الناس. وبغض النظر عن قدرة أو عجز الإنسان، لن يتغير مطلب الله، وأمره.

والله لا يزال يأمر جميع الناس أن يتوبوا لأن هذا هو مطلبه العادل. وإن لم يتب أي إنسان فإن الله لم يقرر لإرادة هذا الإنسان أن لا يتوب. إن الإنسان حر في أن يختار بقدر ما يتعلق الأمر بالله. في الحقيقة، إن الله يأمر الإنسان بأن يتوب. لا يشاء الله لأي إنسان بأن لا يتوب. إن مشيئة الله هي توبة جميع الناس، أن يقبلوا إلي معرفة الحق، وهكذا فهو يأمر جميع الناس.

إلا أن هذا لا يعنى أن الإنسان لديه القدرة علي التوبة أو الإيمان بالإنجيل. الإنسان مولود عبدًا للخطية، وكعبد فإنه ليس حرًا. مثل أي إنسان يولد في بيت عبد فإنه يكون عبدًا أيضًا، هكذا الإنسان المولود بالخطية في آدم هو عبد للخطية. الإنسان ليس حرًا، ليس بسبب الله، لكن بسبب طبيعته التي ورثها من آدم. تأسره طبيعته تحت عبودية الخطية. إذًا لماذا يُعَد بعد ذلك مسئولاً عن خطية آدم؟ هو غير مسئول. كل إنسان اخطأ، وأصبح مسئولاً عن خطاياه الشخصية.

إرادة الإنسان:

لا يملك الإنسان القدرة من داخل طبيعته علي أن يتوب. وهذه عاقبة خطيته، وليست مرسومًا إلهيًا. إن الله لا يقرر إرادة الإنسان. إن خطيته سبَّبت خلو طبيعته من أي عون، أو قدرة، أو بر. كما قال الرسول بولس، "لأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ، إِذْ لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ، بَلْ مَا أُبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ .. ولَكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي، وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي"، (رو7: 15–23). هذا هو الحال مع كل إنسان مولود في الخطية. الإنسان تحت عبودية، وقيد الخطية. وهذا يعني أنه لا يوجد إنسان لديه حرية الاختيار، ليس بسبب الله كما قلنا، فالله غير مسئول عن ذلك، لكن بسبب طبيعتنا الخاطئة.

"أَجَابَهُمْ يَسُوعُ .. إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ. وَالْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ، أَمَّا الابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ. فَإِنْ حَرَّرَكُمْ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا"، (يو8: 34–36).

قال الرب يسوع كل من يفعل الخطية هو عبد للخطية. وهكذا فإن الخاطئ ليس حرًا. وهذا الكم واضح في الكتاب المقدس. فقط الرب يسوع هو الذي يستطيع أن يحرر الخاطئ.

هل المولودين ثانية؟

عندما نولد ثانية تبقي لدينا حرية الإرادة بمعنى أن الله لا يقرر حرية إرادتنا، لكن بسبب أن لدينا طبيعة إلهية جديدة، سنختار في النهاية الأمور المرضية لله. بهذا المعنى فإننا نكون عبيد للبر. في النهاية لا يمكننا القيام بشيء آخر سوي البر، لأن هذه هي طبيعتنا الجديدة كأولاد لله. فالإنسان إما أن يكون عبدًا للخطية، أو عبدًا للبر، (رو6: 16–19). لا يمكن لإنسان أن يحيا لنفسه، لأنه إما أن يحيا للخطية، أو لله. وكما كتب مرة بوب ديلان، Bob Dylan، "يجب أن نعبد شخص ما". نحن نخدم إما الخطية، أو البر. لا أحد حر. الحرية خداع بشري. والحرية الكتابية تعني كونك حرًا من الخطية، ومحبة الذات.

طبيعة جديدة:

المسيحي المولود ثانية له طبيعة جديدة. عندما علَّم الرسول بولس بأننا نتبرَّر بالإيمان، وليس بالأعمال، اعتقد الناس أنه يعلِّم بأننا يمكننا أن نستمر في الخطية، فلن يحدث شيء. كان رد الرسول بولس علي هذا بالقول، "حَاشَا! نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟"، (رو6: 2). إلا أن ما ينادي الرسول بولس به هنا هو أنه عندما يولد شخص ما ثانية فإن طبيعته القديمة الخاطئة صُلِبَت، ودفنت مع المسيح، ولذا فإن سلطان هذه الطبيعة ينكسر. هذه ليست عملية تدريجية، لكنها معجزة فورية في الميلاد الجديد. من أجل ذلك، كان تعليم الرسول بولس، أنه لو ماتت الطبيعة الخاطئة، فكيف تسود الخطية حياتنا فيما بعد؟ إن الإجابة الواضحة هي أن الخطية لا يمكن أن تسود في حياة المولود ثانية.

قال الرسول يوحنا، "كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لاَ يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ"، (1يو3: 9). كان الرسول هنا يتحدث عن طبيعة المسيح في داخل المؤمن المولود ثانية. بسبب هذه الطبيعة الجديدة، لا يمكن للمؤمن أن يستمر في الخطية. هذا لا يعنى أن المؤمن لن يمكنه أن يخطئ إلي الأبد، أو أن يحيا الكمال المطلق. إن

النص يعلِّم بأن الخطية لا يمكنها أن تسود علي المولود من الله. يقول الرسول يوحنا، أننا بهذه الكيفية نعرف المولودين من الله، (1يو3: 7). وهكذا، فإن المؤمن ليس حرًا ليحيا حياة الخطية. وذلك بسبب أن المسيح يحيا فيه، وقد أمات جسد الخطية. إن المؤمن سيختار بحسب طبيعته. إن المؤمن يختار البر، ليس بر نفسه، أو البر الذي من الأعمال، بل الذي من النعمة، من خلال حياة المسيح داخله، الذي يجعله حيًا للمسيح يوميًا.

الحرية:

إن المرء يختار تبعًا لطبيعته، وطبيعته تكون بحسب مولده. بمعني أنه لو أننا مولودين بحسب آدم، سنحتار بحسب هذه الطبيعة الآدمية. أما إن كنا مولودين في المسيح سنختار بحسب طبيعة المسيح. وهذا لا يعد حرية بحسب المعنى الإنساني، ولكنه حرية من الخطية. نحن نكون أحرار فقط عندما نكون مقيدين بخدمة الرب يسوع المسيح بالإيمان. إن الحرية لا تعني أننا أحرار لنحيا من أجل الذات. إنها تعني أن ابن الله يحررنا من الخطية. هذه هي الحرية الوحيدة، الحرية التي تهبها لنا نعمة الله. إن حياته تهبنا الإيمان، والرجاء، والمحبة، والرغبة في أن نتمم مشيئته. هذه هي الحرية. الآب له حياة في ذاته وقد أعطي الابن أن تكون له حياة في ذاته ليحيي من يشاء. إن حياة ابن الله تمنحنا القدرة لأن نكون أحرارًا.

أمر الله بني إسرائيل بأنه لا يجب أن يستعبدوا ذويهم استعباد العبيد، (لا25: 39-40). وذلك لأن الله افتداهم من العبودية، من خلال دم حمل الفصح. ولذا لا يجب أبدًا أن نستعبد الناس. الناس مِلك لله. ولو تسيدنا علي إيمان الناس الآخرين، فلن يمكنهم الصمود في إيمانهم، (2كو1: 24). هذا الفداء المصوَّر في بني إسرائيل يعني أنه لو وُجِد عبد من أجل دينٍ ما عليه، ففي السنة السابعة يجب أن يُطلَق حرًا. لكن إن أحب هذا العبد سيده واختار أن يلازم سيده، ولا يتحرر. فيجب أن تُثقَب أذنه كعلامة علي أنه عبد محبة، باختياره، لباقي أيام حياته، (خر21: 1-6). كانت هذه علاقة نعمة. إن مثل هذا العبد كان يخدم سيده من باب المحبة. ولذا نجد كل من الرسول بولس، (رو 1: 1؛ في 1: 1)، ويعقوب، (يع 1: 1)، والرسول بطرس، (2بط1: 1)، ويهوذا، (يه1)، جميعهم يطلقون علي أنفسهم أنهم عبيد يسوع المسيح. في مجتمع اليوم نحن نتحدث عن الحرية، لكن الفداء يعني أننا قد اُشتُرِينا بثمن، أي أننا ملك للرب، ومن خلال هذه المحبة قد غيَّر قلوبنا. نحن عبيد يسوع المسيح، ولسنا عبيد لذواتنا. كما أننا عبيد لبعضنا البعض في الرب.

خطية آدم:

يعترض الناس بأن طبيعة خطية آدم انتقلت لجميع الناس، قائلين لا يمكن لله أن يلوم البشر من أجل خطية إنسان واحد. إن مثل هذا الاعتراض يعبِّر عن الفلسفة الإنسانية. إلا أن الإنسان لا يخطئ فقط بل يعنِّف الله من جهة عدله. يعاني الأبناء من قرارات آبائهم الشريرة. لو عرف آدم كرأس للجنس البشري، أنه سيموت بكل تأكيد كان يدرك أنه سيضم كل ذريته في خطيئته، (رو5: 12). تؤكِّد نصوص الكتاب المقدس أن الله لا يطالب بالخطية حيث لا يوجد ناموس. هذا الناموس هو ناموس موسي، وأيضًا الناموس المكتوب علي ضمير جميع الناس. وبينما يولد البشر بالطبيعة خطاة، ربما لا يكونون مسئولين بصفة شخصية عن هذه الخطية حتى يبلغوا سن المسئولية، (رو5: 13). قال الرسول بولس أن أولئك الذين هم تحت الناموس يدانون بالناموس، والذين بلا ناموس يدانون بواسطة ضميرهم، وهكذا فلا أحد بار. إن ناموس الضمير في الإنسان يبكت كل شخص علي الأرض بدون استثناء، (رو2: 12-16).

"مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ. فَإِنَّهُ حَتَّى النَّامُوسِ كَانَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْعَالَمِ. عَلَى أَنَّ الْخَطِيَّةَ لاَ تُحْسَبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَامُوسٌ. لكِنْ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى، وَذلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ، الَّذِي هُوَ مِثَالُ الآتِي"، (رو5: 12-14).

وهذا يرينا أن الإنسان لا يدان من أجل خطية آدم بل من أجل خطيته.

"وَلكِنَّ الْخَطِيَّةَ وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ أَنْشَأَتْ فِيَّ كُلَّ شَهْوَةٍ. لأَنْ بِدُونِ النَّامُوسِ الْخَطِيَّةُ مَيِّتَةٌ. أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ بِدُونِ النَّامُوسِ عَائِشًا قَبْلاً. وَلكِنْ لَمَّا جَاءَتِ الْوَصِيَّةُ عَاشَتِ الْخَطِيَّةُ، فَمُتُّ أَنَا"، (رو7: 8-9).

من المحتمل أنه لا يوجد عمر محدد للمسئولية. الله يعلم متي تبدأ هذه المرحلة العمرية لدى كل إنسان، بحسب ظروفه، وقدراته. قال الرسول بولس، ".. لكِنْ لَمَّا جَاءَتِ الْوَصِيَّةُ عَاشَتِ الْخَطِيَّةُ، فَمُتُّ أَنَا"، (رو7: 9). كان خاطئًا قبلما جاء الناموس، لكن عندما أصبح واعيًا بالخطية بمعرفة الناموس، ظهرت الخطية، والشعور بذنبها أحكم قبضتها علي حياته.

مكانة آدم:

حتي لو افترضنا أننا ولدنا بدون طبيعة خاطئة، مثلما خُلِق آدم. وكنا مكانه لفعلنا بالضبط نفس الأمور التي فعلها. كنا سنعصى الله أيضًا. إن دينونة الإنسان ليست نتيجة خطية آدم، بل نتيجة لخطيتنا. هل يعني هذا أن الله خلق الإنسان وبه ميل نحو العصيان، وأن الأمر ليس خطأ الإنسان؟ خلق الله الإنسان صالحًا بدون أي ميل للفشل، أو السقوط عندما جُرِّب. أما عن سبب السقوط فهو من الأمور التي يصعب تفسيرها. وعندما نذهب لأبعد مما يقرره بوضوح النص الكتابي فإننا ندخل في متاهات الفلسفة وليس اللاهوت. لأن اللاهوت معنِى بدراسة ما يقوله الله، وليس ما يعتقده الإنسان عن ما لم يقله الله. نعلم أن السبب الذي من أجله سقط آدم هو شيء له علاقة بالحرية التي منحها الله لخليقته. نؤمن أيضًا أن سقوطه كان أمرًا يتعذَّر تجنبه، حتي يتبرر بواسطة النعمة وليس بواسطة الأعمال. لقد علِم الله، قبل الخليقة، أن الإنسان سيسقط، إلا أنه مضي في مخططه، لأن خطة الله من البدء هي أن يكون له شعبًا في المسيح، مبررًا من خلال حياة ابنه، وليس من خلال أعمال البشر. "لكن الله كان من الممكن أن يحقق هذا منذ البدء." نعم، ولكن بعدها لن ندرك الفرق بين ما يمكننا، أو لا يمكننا فعله بذواتنا وما يمكن أن يصنعه الله لنا من خلال النعمة.

وكوننا لا نستطيع رؤية الكيفية التي بها يتحقق شيء ما بالعدل، لا يعني أن هذا الشيء لم يتم بعدل. ويكون من الحكمة أن نتنازل ونعترف بنقص فهمنا، بدلاً من أن ننسب لله الظلم. إن الله بار في دينونته. ليس فيه ظلمة، كما أنه لا يخطئ، أو يفعل شرًا. إن سجله أفضل من سجلنا بكثير. قال إبراهيم، ".. أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟"، (تك18: 25). إن تعبير إبراهيم ينسب لله برًا. وكما حدث بالفعل، لم يكن هناك بار واحد في سدوم، كما أنقذ الله لوطًا بالنعمة ومن أجل خاطر إبراهيم الذي اختاره. الله ليس شريرًا. ودينونته ستكون عادلة بشكل مطلق. وفي يوم الدينونة العتيد سيعلم الجميع ذلك. ماذا عن الذين لم يسمعوا الإنجيل؟ نؤمن أن الله سيدينهم بحسب ما لديهم من نور. سيفعل الله ما هو الصواب. هو الذي خلق الإنسان ولذا يستطيع التعامل معه. من الخطأ أن تحمل علي عاتقك ثقل خلاص كل إنسان. إن الله صانع الإنسان، وليس أنت. إن مهمتك هي أن تعظ بالإنجيل، وتتكلم بالحق، وتعيشه.

المذهب الإنساني:

وتلخيصًا للمناقشة أعلاه، يمكننا القول:

1. جميع الناس مسئولون عن خطيتهم.
2. الله غير مديون لأي إنسان بفرصة خلاص، حيث أن الجميع أخطأوا بعلمٍ إما بواسطة الناموس، أو بواسطة ضميرهم.
3. الله غير ملزم لأن يخلص أو يفتدي الجنس البشري. وهو بشكل نهائي بلا لوم من جهة هذا الأمر.
4. خلاص الله هو عمل نعمة بالكامل، ولا يقوم به الله من باب الدين للجنس البشري.
5. الخلاص يعتمد علي الرحمة والمحبة فقط، الله ليس لديه التزامًا ليمنحنا فرصةً ثانيةً.
6. الله لديه الحق أن يفعل ما يشاء بخليقته، ولا يحق لإنسان أن يجاوبه. وهذا من أصعب الأمور التي علي الإنسان أن يقبلها، لكنها الحق. أما فكر الفلسفة الإنسانية يقدم منظورًا مختلفًا حول العدل.

هذا يعني أن الله حر، وصاحب السلطان. هو لا يدين للإنسان بشيء. وخلاص الله ليس أبدًا من باب المديونية للإنسان. وأي إنكار لهذا الحق يغير تعاليم الإنجيل في الصميم. إن الخلاص يُقدَّم كهبة مجانية، وليس علي أي اعتبار آخر. إنه مقدَّم فقط بواسطة رحمة الله، وإحسانه، وليس من قبيل العدل. الله يخلص في حريته، لا كتتميم التزام يجب القيام به. وهي نقطة وضحها الرب في مثل الفعلة، (مت20: 1-16). يلخِّص الأصحاحان الأول، والثاني من الرسالة لأهل أفسس هذا الأمر، من

خلال الكلمات المستعملة فيهما مثل، "نعمة"، "باركنا"، "اختارنا"، "للتبني"، "مسرة"، "مشيئته"، "مدح مجده"، "في المحبوب"، "الغفران"، "أجزلها"، "قصدها"، "غني في الرحمة"، "محبته الكثيرة". لفظة "العدل" غير مذكورة. هبة الله لا تعتمد أبدًا علي العدل، الذي يقضي بهلاكنا جميعًا. رحمة، ومحبة الأب كانت مصدر تذمر الابن الأكبر، (لو15: 28)، وبالمثل لا تزال شكوى الكثيرين ممن يقاومون الإنجيل.

مجده:

لو أن الله يمنح محبته مجانًا للناس بدون أعمال، فلماذا لا يفعل ذلك لجميع الناس؟ ولماذا لا يفعل ذلك للشيطان أيضًا؟ وفي الحقيقية نحن نتساءل بما هو أكثر من ذلك، بالقول، "لماذا توجد جهنم؟" لا يمكننا هنا أن نعطي إجابة بشرية لهذه الأسئلة. يجب علينا فقط أن نتمسك بالمكتوب. أولاً، لا توجد محبة بدون بر. ولا يوجد بر بدون بغضة للخطية. إن المحبة ليست غياب التمييز. المحبة تقف ضد ما هو خطأ، وضد ما يؤذي الناس. ولو أننا لا نكره الخطية، لن يكون لنا محبة. الله يكره الخطية، ويدينها، ولذا يحب الخاطئ. لقد علَّق الرسول بولس بصدد هذا الأمر بالقول:

"وَلكِنْ فِي بَيْتٍ كَبِيرٍ لَيْسَ آنِيَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ فَقَطْ، بَلْ مِنْ خَشَبٍ وَخَزَفٍ أَيْضًا، وَتِلْكَ لِلْكَرَامَةِ وَهذِهِ لِلْهَوَانِ"، (2تيم2: 20).

يرينا هذا النص أن الله يتمجد من خلال أولئك الذين يخلصون، وأيضًا بواسطة أولئك المحفوظين للدينونة. لكن لا يعني هذا الأمر أن الله يُسَر بموت خاطئ. إنه يعنى أن كلاهما يظهر قداسة الله، وصفاته الأخرى. في بيت إنسان عظيم توجد أواني تُقدَّم فيها أفخر المشروبات، كما توجد سلال تُجمع فيها القاذورات. الخليقة، كبيت الله لا تُدار بطريقة تختلف عن ذلك. يتساءل الرسول بولس إذا ما كانت حقيقة عدم خلاص البعض تبين ظلم الله، ويقول، هل يمكننا أن نحكم بحسب معاييرنا؟

> **"وَلكِنْ إِنْ كَانَ إِثْمُنَا يُبَيِّنُ بِرَّ اللهِ، فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ اللهَ الَّذِي يَجْلِبُ الْغَضَبَ ظَالِمٌ؟ أَتَكَلَّمُ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ. حَاشَا! فَكَيْفَ يَدِينُ اللهُ الْعَالَمَ إِذْ ذَاكَ؟ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صِدْقُ اللهِ قَدِ ازْدَادَ بِكَذِبِي لِمَجْدِهِ، فَلِمَاذَا أُدَانُ أَنَا بَعْدُ كَخَاطِئٍ؟ أَمَا كَمَا يُفْتَرَى عَلَيْنَا، وَكَمَا يَزْعُمُ قَوْمٌ أَنَّنَا نَقُولُ، لِنَفْعَلِ السَّيِّآتِ لِكَيْ تَأْتِيَ الْخَيْرَاتُ؟ الَّذِينَ دَيْنُونَتُهُمْ عَادِلَةٌ"، (رو3: 5-8).**

الله يحفظ البعض في شرهم ليكشف عن دينونته العادلة. إن الشر يلقي الضوء علي ما هو صالح. إن الله يخلصنا بتغيير طبيعتنا، لكنه يفعل ذلك جزئيًا بأن يرينا الخطأ، وبأن يحرك قلوبنا ضد هذا الخطأ. الله لا يغيرنا دون مشاركة من تمييزنا، وحكمنا المستنير. إن الله ليس ظالمًا في من يدينهم. إنه اختيارهم، حتي بعد أن تُقدَّم لهم توسلات الإنجيل الملحة. إن الله ليس أصل خطيتهم. قال الرسول بولس إن غفر الله للجميع كيف سيدين العالم؟ لن يكون هناك عدل. هذه كانت إجابة الرسول بولس، سواء أعجبتنا أم لا. بعض الناس يعتقدون أن جهنم ليست حقيقية، وأن التعليم عن العذاب الأبدي أثر لم يتطهر بعد من العصور المظلمة.

> **"فَمَاذَا؟ إِنْ كَانَ اللهُ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ غَضَبَهُ وَيُبَيِّنَ قُوَّتَهُ، احْتَمَلَ بِأَنَاةٍ كَثِيرَةٍ آنِيَةَ غَضَبٍ مُهَيَّأَةً لِلْهَلاَكِ. وَلِكَيْ يُبَيِّنَ غِنَى مَجْدِهِ عَلَى آنِيَةِ رَحْمَةٍ قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا لِلْمَجْدِ، .. لَيْسَ مِنَ الْيَهُودِ فَقَطْ بَلْ مِنَ الأُمَمِ أَيْضًا"، (رو9: 22-24).**

هل هذه تكون محبةً؟ نعم، التمسك بمعيار البر من أجل خاطر مجد الله، ومن أجل خاطر العالم، ومن أجل خاطر المختارين هو محبة. وهكذا يقول الرسول بولس هنا، ماذا لو احتفظ الله بواحد للدينونة، بينما دعا آخر برحمة؟ إجابته في (رو9) كانت أن الله له هذا الحق المقصور عليه فقط. وسندرس هذا الموضوع في فصل آخر. إن (رو9: 22-24) ليس موضوعًا بلاغيًا، لأن الرسول بولس يواصل الدفاع عن دينونة الله في (رو9)، وأيضًا في (رو11).

> **"كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ، أَعْطَاهُمُ اللهُ رُوحَ سُبَاتٍ، وَعُيُونًا حَتَّى لاَ يُبْصِرُوا، وَآذَانًا حَتَّى لاَ يَسْمَعُوا إِلَى هذَا الْيَوْمِ. وَدَاوُدُ يَقُولُ، لِتَصِرْ مَائِدَتُهُمْ فَخًّا وَقَنَصًا وَعَثْرَةً وَمُجَازَاةً لَهُمْ. لِتُظْلِمْ أَعْيُنُهُمْ كَيْ لاَ يُبْصِرُوا، وَلْتَحْنِ ظُهُورَهُمْ فِي كُلِّ حِينٍ"، (رو11: 8-10).**

اقرأ أيضًا، (إش63: 3-6؛ لو12: 4-5؛ رو11: 22؛ 2كو2: 15-16؛ 2كو5: 10، 11). الله عنده الصرامة واللطف، الدينونة والنعمة، العدل والرحمة، والتي جميعها تمجد الله. إن مجد الله هو موضوع رئيسي، وليس فكرة قوية لعصر نهضة!

دافع الله الأساسي في كل هذا هو المحبة، ولكن ليست المحبة التي تُفهَم دائمًا بشكل بشري. "بالنسبة لأولئك الذين يهلكون، ويندفعون نحو الموت، فإن الله بالتأكيد، لا يرغب في أي شيء أكثر من أن يرجعوا لطريق الأمان. وهذا هو السبب الذي من أجله يُبَشَّر بالإنجيل في كل العالم، لأن الله رغب في أن يشهد لكل العصور أنه ميال بشدة للرحمة.[9]"

هل نحن من أولئك الذين قبلوا رحمته؟ هذا الأمر يتوقف علي الكيفية التي نتجاوب بها مع نعمة الله؟ إن كنا نقسى أنفسنا تجاه نعمته ونستمر في الشر فإننا حتمًا سنقع تحت دينونته. وإن كنا ننفتح علي نعمته ونسمح له بأن يعمل بمحبته في حياتنا من المؤكَّد أننا سنتمتع برحمته. فلا يوجد إنكار للمسئولية، فقط القبول بأن أي صلاح نفعله، نفعله من خلال نعمته وليس من ذواتنا.

---

[9] Calvin, *Commentary on Jonah.*